AYUNTAMIENTO DE CÓRDOBA
Biblioteca Municipal

R. 28453

00H–5–40

Códices de Tetuán. 40

10+

الحمد لله وحده

ممّا يتعلق بامر هذه الرحلة الاحبانية الاسماعلية ما وفقت عليه بظهير اسماعيلي ونصّه الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا آ ثيرا. نص الطابع اسماعيل بن الشريف الحسني رعاه الله اليمن والاقبال وبلوغ الامال خديمنا الحاج ابن علي معنين سلام عليك ورحمة الله وبركاته وبعد فاعلم ان عجوزا زوجة الفجاج العباسي الفياض جاءت لمقامنا العلي بالله وذكرت ان ولدها اسيرا ببلاد النصارى بفالص وطلبت منا هذا النصراني حامله الذي اسمه منويل كرس الذي صفته ابيض الطول احول من جنس الاصنيول وذكرت ان اخا هذا النصراني هو الذي اشترى ولدها ولما احضر خديمنا عبد القادر بن عبد الرزاق هذا النصراني كان امامنا ورأينا التزم اخراج ولدها محمد الفجاج ويزيد كانت اربعمائة ريال موزونة بوجهها على المسلم أمرنا خديمنا ابن عبد الرزاق ان يتولى الكلام مع النصراني ويقبض منه المسلم المذكور والاربعمائة ريال المذكورة وانعمنا بالنصراني منويل المذكور والموجود صدر على هذا المراد لوجه الله تعالى وابتغاء ثوابه الجسيم لتخرج به ولدها الاسير المذكور والمطلوب اسراح هذا النصراني فاذا جاءك كتابنا هذا اسماه الله فلا تمنعه من الركوب والجواز الى بلاده ولنا تبقى من

النصراني

النصراني فطلع براءة خديمنا ابن عبد الرزاق التي امرنا ان يتولى قبض الفدية منه والمسلم والسلام رغبت في الثامن عشر من صفر الخير عام ثمانية وثلاثين ومائة والف انتهى من لفظ الظاهر الاسماعيلي مباشرة

التعريف بصاحب الرحلة

قال الفادري في نشر المثاني ومنهم الكاتب الارجع ابو عبد الله محمد المدعو حمو بن عبد الوهاب الوزير الغساني الاندلسي العباسي كتب السلطان مولانا اسماعيل وكان نجيبا في ذلك ذكر انه قلما يلفى من الاواخر يكتبها ويستوفيها ولا يعزب عليه شيء منها مع كثرتها وقد ارسله مولانا السلطان لبلاد الروم بالاندلس بقصد ان يستخرج ما بايديهم من اسارى المسلمين ويستخرج ما بغى من الكتب بالمشاهد التي كانت للمسلمين وألف في رحلته تلك كتابا سماه رحلة الوزير في افتكاك الاسير وترجم له شيخنا العلامة سيدي محمد بن سيدي جعفر الكتاني في سلوة الانفاس بمثل ما عند نشر المثاني وزاد عليه وصفه بالنبغ المشارك المتفنن الدراك المتفن الارجع كتب للسلطان الخ وكانت له سرعة في نسخ الكتب لا تعرف لغيره وابدل بقطعة المشاهد بالمساجد المهجورة ثم قال توفي من مرض بدا رهم الكائنة بزنقة الرحلة من فاس الغربيين عام تسعة عشر ومائة والف وبيض في النشر على ما في بعض نسخه لعل وجده ترجمته من الكتابين ؛

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه

يقال ان هذه الرحلة هي للفقيه الكاتب ابن عيسى السيد
المهدي الغزال الاندلسي الاشبيلي رحمه الله .
جل هي للكاتب الاديب الوزير ابي عبد الله محمد بن عبد
الوهاب المعروف بالوزير الغساني عما تشر المشاني
وسلوة الانفاس انظر ترجمته بظهر هذه الورقة منقولة من
الكتابين توفي بفاس عام ١١١٤

الحمد لله الذي جعل نزهة العقول والابصار في التنزه في روضات
التواريخ والاخبار ، ووسع صدور الاحبار بجولان الاقاليم والاقطار وزين
فلائد البلدان بجواهر الامصار ، نحمده سبحانه على ان الطف انا من
حكم الاسفار على ما حلا الدفاتر والاسفار ، ونشكره تعلى ان اختص
الجولان باسرار البدايع وبدايع الاسرار ، ونصلي ونسلم على سيدنا ونبينا
ومولانا محمد اشرف من اظلت السماء . وافلت البسيطة . الحائز مدية
الشرف وكماله . وواقرى وبسيطه . وعلى آله الاطهار وصحابته
الاخيار . اما بعد فانه لما كان سيدنا الامام السلطان المظفر
الهمام ذو الشيم التي اضحت مثائر الاوائل والاواخر والمزايا التي
باهت على الانام والافياض البحور الزواخر والهمة التي لم تزل

تراقب

تراقب المعالي وتصرفه الكلية لحماية البلاد والعباد والدين والدنيا
بالبيض الصوارم والسمر العوالي وتحمي بيضة الاسلام وتحيي سنة
جده عليه الصلاة والسلام الماجد الاصيل الغطريف ظل العدل
الوريف ابو النصر مولانا اسماعيل بن مولانا الشريف ادام الله نصره
واعلى فخره واعلى مصره مغرما باحياء السنن وجاريا في اقامتها
على اوضح السنن وكانت همته مصروفة لفكاك الاسارى واستخراجهم
بيد من كانوا في يده من النصارى ليغتنم ثواب فكاك الاسير ويفوز
بما ورد في ذلك عن الرسول البشير وكنت ممن امتن الله عليه لخدمة
بابه وتفضل عليه بالانخياش لجنابه وخصني ادام الله علاه لبلاد
الروم كاتبه بمن هناك من اسارى الاسلام والبحث في الجزائر الاندلسية
عما ابقاه المسلمون هنالك من كتب الاحكام ليكون لي معه دائم
حمد وكفل من الثواب وماضي باوفر بركة فالتمست من ذلكم الجناب
فتوجهت مستعينا بالله تعالى الى هاتيك الاقطار بامانه الشريف
وامره مستظلا بظل جلالته وفخره ورايت هنالك من العجب العجاب
ما يسحر العقول ويبهر الالباب فجمعت بعض ذلك في هذا الرفاع
ليلا تعدو عليه الضياع ورسمته مخافة النسيان ورجاء ان يبتغيه
من يطلع عليه من الاخوان مستمدا من الله العون والمنة انه ذو
التفضل والكرم والاحسان والجود والمنة .

الخبر عن مرسى جبل طارق ١

وهو الجبل المسمى بجبل الفتح اذ كان منه مبدى فتح العدوة الاندلسية
لما ان عبر طارق رحمه الله اليها كان بعد ان وجه موسى بن نصير
رحمه الله الى العدوة سرايا بامر اميرة الوليد بن عبد الملك وذلك حيث
كان موسى عاملا للوليد على افريقية وطارق عامل موسى على طنجة
وكانت وقعت بين يليان والى مابلى البحر من العدوة وبين موسى
مداخل ومراسلة يدعوه فيها الى العبور والدخول الى الجزيرة فكتب
موسى للوليد يخبره بذلك فقال له اختبرها بالسرايا فاختبرها
ببعث طارق المذكور بعد هذا على يد طارق وغزى واصاب مالا وسبيا
ورجع الى البلد البربرية فلما دخلوا في الاسلام بعد غزو شنيع
وسبي ذريع تدارج الغزو الى قبار الاندلس وحين رجعت هذه السرية
سالمة غانمة عمل موسى على اجازة سرية اخرى في العام الذي بعده
فلما ودعني يليان موسى الى الاندلس ذكروا ان موسى تخوف الى
امير المومنين الوليد بن عبد الملك باعلامه بذلك فمنعه وقال له
لا تغرر بالمسلمين فقال له يا امير المومنين انما ارسل عبدي لطارق
مع البربر فان اصابوا قلنا وان اصيبوا فليس علينا منهم شيء فامره
بالنهوض الى ذلك فبعد ذلك قام يليان باينته من قصر لذريق
الى سبتة وموسى بافريقية فقدم عليه ووصف له حال الاندلس
وكثيبها وقرب مراحها ومعونة عليه رجالها وقرب حالها فقال له
موسى اصدق في نصيحتك الا انه ليس في نفسي شيء بسبب الدين

فاخذ يليان معه الرجال معم لحرين واغاربهم على التجلد وانحدروا
غانمين سالمين فاحكمان موسى ونظر في ارسال طارق ومعه البربر
وعبر طارق اليها من ناحية سبتة ونزل بالقرب من هذا الجبل
في جزيرة صغيرة تقابل المدينة التي في سفحه وهي جزيرة صغيرة
بقدر ميل واحد طولا وعرضا يحدها واد كبير ينحدر من جبال الرندة
واحوازها وهي جبال كثيرة متاهفة تقابل من البلاد البربرية
جبال بحص والقبط وغيرها وباسم هذه الجزيرة الصغيرة تسمى
هذه العدوة جزيرة والا فبلاد العدوة ليست بجزيرة لاتصال برها
واستداده الى البلاد التركية وغيرها من بلاد الكفرة مثل بلاد
وبلاد الابخانية والالمانية وليس بهذه الجزيرة المذكورة اليوم
عمارة ولا بناء ومرسى جبل طارق هي مرسى كبيرة واسعة الجوف
وعلى بابها حصن منيع مبني احسن بناء وبه من العدة والمدافع
ما شحنه اذ هو موضع مبيت العساس واهل الحرس وهو مطل
على المرسى جميعها وقد امتد سور مع سفح الجبل صار من الحصن
الى المدينة بقدر ميل على شفير البحر الى ان ينتهي الى المدينة
والمدينة تصل المراكب اليها وهي مدينة متوسطة الى الصغر اغرب
واكثر عمارها الشلالات ومن جملتهم وليس بها كبير تجار ولا عمار
مثل الحواضر التي تقصد للسكنى حيث كانت كبرى وجملة بر الاسلام
ومنها تمتد سبتة بافوات سكنها وعمارها لقرب المسافة اذ لا قرب

منها في جميع بلاد العدوة وقدر ما بينهما في البحر خمسة عشر ميلا واكثر
حرس هذه العدوة وانتباههم هو ساحل جبل الفتح هذا من البلاد
البربرية اذ ليس لهم تغوف واحتراز الا منها لما تدارسوه في تواريخهم
وتقرر لديهم انه فلم ما عبر احد الى العدوة في البحر الا من الناحية
البربرية ولم تفتح العدوة اولا ولا عبر اليها بعد ذلك من عبر في ازمنة
من عبر اليها من ملوك مغربنا رحمهم الله الا من مقابلة جبل الفتح
ومقابلة طريف وسبب تسمية هذه المدينة بطريف هو انه لما
كان موسى بن نصير رحمه الله عاملا على افريقية للوليد بن عبد
الملك ولهارون كان عاملا لموسى على طنجة وحين دخل يليان
العلج من الجزيرة الخضراء كتب موسى بذلك الى الوليد وكتب اليه
الوليد ان اختبرها بالسرايا ولا تغرر بالمسلمين في بلد شديد الاهوال
وكتب اليه موسى يقول له انه ليس بهذه البلاد خليج وكتب اليه
الوليد اختبرها بالسرايا وان كان الامر كما ذكرت فجهز موسى رجلا
من البربر موالية يسمى طارفا وبكنى ابا زرعة في مائة فارس
واربعمائة راجل فجاز في اربعة مراكب حتى نزل في ساحل البحر بالاندلس
في الموضع المعروف اليوم بجزيرة طريف سميت بذلك لنزوله هناك
فاغار منها على ما يليها الى جهة الخضراء واصاب سبيا ومالا كثيرا
ورجع سالما والذي يقابل جبل الفتح من بلاد ناهو جبل بليونش ويعرف
بجبل موسى ويسمى هذا الجبل بليونش باسم مدينة كانت به

فديما

فديما وقد بقي بها اثر الجدران والحيطان وانهارها باقية الى الان تدل على
مكانتها وهي في غرب سبتة ومقدار ما بينهما خمسة اميال وفي غرب بليونش
عيون مياه عذبة تعرف قديما بعين الحياة زعموا انها عين الحياة
التي شرب منها الخضر عليه السلام وبازاء تلك العيون صخرة يزعم بعض
اهل التواريخ ان عند تلك الصخرة نسي فتى موسى الحوت والذي
يقابل طريف هو القصر الصغير الذي في حدود بلاد انجرة وهو اقرب
من غيره في جميع البوغاز لكون مقدار ما بينهما ثمانية اميال وفي
هذا المكان من هذه النواحي ليس هو على قدر توقع الكبرة
وتخوفهم اذ ما بين مدينة جبل الفتح ومدينة طريف هو خلاء لا عمارة
به وفيما بينهما بلاد فسيحة متسعة الارجاء وكان وصولنا
الى هذه المرسى عشية يوم الاربعاء اواسط محرم وباتم اثنين
بعد مائة والف وهو يوم ركوبنا البحر من قصبة اقراف المطلة على
مبتة اعادها الله دار اسلام فوجدنا بالمرسى مركبا مهيئا مشحونا
بالاقامة والشلندات وما يستخف من الالات وكان وجه ذلك
الدوك الفاطن بمدينة سارلوكار بامر عظيمه وهو الذي ينتهي
اليه امر تلك الكوشطة علما وهو من اعيان اكابرهم اذ لا يتولى
عندهم امر الكوشطة الموالية لبرنا الا من له اصالة في الكبيرة
ومن له لقب الدوك والكونت لا غير وكان هذا المركب الكبير لما ان
وجه به الدوكي المذكور على يد حاكم قالص ارسى به على سبتة

اعادها الله للاسلام فلما ان فتح الريح الشرقي التي لا يمكننا معه
بقاؤهم ٥ قرب سبتة ولا ٥ حوزها رجعوا به الى مرسى جبل الفتح واقاموا
هنالك ينتظرون الريح التي يمكنهم فيه الرجوع الى مرسى سبتة لملاقاتنا
وخرج معهم ولد الفيطان واعلمونا بانتظارهم لورود المراكب التي
٥ جبل الفتح فلنا لهم اما ان توجهوا اليها واما ان نعبر نحن البوغاز
٥ مراكب صغار لسرعتها ٥ العبور فخفتها وشد جربها باعدوا لنا
ثلاث مراكب صغارا هيئوها وشحنوها بالزاد والمدافع التي
تحميها وركبنا فيها وسرنا ٥ حفظ الله وعلاه نصف يوم الى ان
حللنا المرسى المذكورة وانتقلنا من المراكب الصغار الى المركب المعد
لنا هنالك وتقدمنا الى قرب مدينة جبل الفتح وبتنا بالمركب ولما
انتصف الليل هاج علينا البحر واشتد هيجانه وتلاطمت امواجه والمركب
يتقلب يمينا وشمالا ويتمرغ كما يتمرغ الدابة الى ان دخلنا البرزخ ٥
والرعب وبغير الحال فذلك الى ان لطم البحر واهوال البحر لا تحصى ولا تحصر
ولا توصف والشيء يسمع فيحقر حتى يبصر فرحم الله الفاضل ٥

هو البحر حدث عنه غير مكذب فما تنفض ٥ ايانه وعجائبه ٥
فاستشار ربس السفينة ان يرجع بنا الى باب المرسى من حيث
دخلنا لان هو موضع متنكب عن الرياح والبحر فيه كانه بركة ماء وحيث
سكن هائجه وركد ماجه ارسينا تحت الحصن ٥ اصل جبل الفتح
واقمنا هنالك ثمانية ايام ننتظر هبوب الريح الهواء الشرقي

الخ

التي يمكننا فيه السفر الى فاس حيث كان قصدنا وفيه استعد النصارى
للملاقات وجمعوا جموعهم و ٥ مدة مقامنا بالمرسى المذكور كان
فايد البلد يختلف الينا ويتعاهدنا كل يوم بالفواكه الرطبة
واليابسة ويعتذر عن تقصيره الى ان استنشق بعد اصحابنا
هبوب الريح الشرقي نصف ليلة الاربعاء الثامنة من حلولنا
المرسى المذكورة وكان الصاحب المشار اليه عارفا بأحوال البحر
لتعدد سفره فيه ورئيس المركب اذ ذاك مستغرق ٥ نومه فنبهناه
واعلمناه بهبوب الهواء فارتحلنا من ساعتنا وخرجنا من موضعنا
ذلك وحين طلع الفجر فاذا بنا مدينة طريف وهي مدينة متوسطة
على شفير البحر ٥ بسيط من الارض وقد سميت باسم نازلها الطريف
فيما تقدم ويقابلها من بلاد الفنر الصغير المتقدم الذكر ولم
نزل نصف ذلك اليوم سائرين الى وقت حلول صلاة الظهر فرأينا
اذ ذاك مدينة قالص وهي مدينة كبيرة ٥ جزيرة على البحر ولها
طرف ممتد الى البر والبحر يدور بها من نحو سبعة اثمانها
ولها مرسى كبيرة لا تقدر لسعتها وبها من المراكب الكبار والصغار
ما لا يحصى كثرة وحيث كانت مدينة كبيرة يقصدها المسافرون
والتجار من كل اوب وينتالون عليها من كل ريح وترد عليها
النصارى من كل قطر او مدينة تجاورها او تقرب اليها بقصد البيع
والشراء والنجعة والخدمة يجتمع بها من المراكب الصغار التي تجلب

اليها العدد والافوات من الطعام والعواكه وغير ذلك العدد الذي
لايحصى مما تطلع الشمس الا والزوارق تقطعوا بفوادم غربان و تعطوا
بسوالف غزلان تخالها في سمايه اهلة مكشوفة وتحسبها فوق مايه
جريدة دهم مصبوغة فسبحان الملك الخلاق المقدر الارزاق ولما ان راى
حاكم البلد ذلك اليوم هبوب الريح التي يفدمنا عليهم استعدوا للملاقات
استعدادا كثيرا وتاهبوا تاهبا كبيرا وجمعوا الشلنداق والخويلة
التي عندهم وعمروا مدافعهم البحرية والبرية وخرجوا الى البحر
ينتظرون ورودنا حيث قربنا الى المدينة بمقدار ميلين ورد علينا
قبطان مع مركب للحاكم وقد زينه بانواع البرش والحرير والديباج وقد
علق على المركب صنجقا من صناجق الطاغية وصعد الى السفينة واداى
سلام كبيرا واعتذر على لسانه بتهيئه للملاقات واخذ رنا من المركب
الكبير الى الزوارق وقصدنا المدينة فوجدنا حاكم المدينة واقفا على
طرف الموج وقد برز معه جميع من بالمدينة رجالا ونساء وصبيانا
ولم يدع بالمدينة ولا بالمراكب صاحب لهو ولا طرب الا وقد احضره ولم
يترك باسوار المدينة ولا بالمراكب الكبار مدفعا الا وقد اخرجه ولقينا
الحاكم المذكور احسن ملاقاة وفرح بنا اتم فرح ولقينا من بمدينة قالوا
من الاسارى رجالا ونساء وصبيانا وهم يفرحون ويعلنون بالشهادة ويطلون
على النبي صلى الله عليه وسلم ويدعون بالنصر لسيدنا المنصور بالله
فذكرناهم ووعدناهم بالخير من ان سيدنا نصره الله غير تاركهم مادام وفضل

الله

الله عليه فكان عندهم ذلك اليوم يوم عيد لاستبشارهم بالفرج من الله
تعالى على يد المولى المنصور بالله سيما وقد تقرر لديهم ان سيدنا نصره الله
لم يبق له قصد ولا نية في جمعه لسائر النصارى الذين في ربقة الاسر الا
لاجل فكاك المسلمين من يد العدو الكافر نصره الله فاستبشروا ابا البال
المعروف اليهم من الملك ابقاه الله تعالى وادام وجوده فدخل بنا
الحاكم المذكور المدينة وقصد بنا دارا كبيرة اعدها النزولنا وقد احضر
انواع الاقامة على اختلافها ولم يزل يتعاهدنا هو ومن معه من اعيان
البلد ذلك اليوم والليل كله الى الغد ثم بدا يستعجلنا عن غرضنا
في السفر وقال لنا اترب في المقام عندنا للاستراحة بعض الايام فقلنا له
لايمكننا المقام بموضع من المواضع مالم نصل البلاد التي نحن قاصدون
اليها والطاغية التي توجهنا اليه فقال ان ذلك هو مراد سيدنا وعظيمه
وهو مستبشر بقدومكم ومنتظر وصولكم اليه عاجلا فاتفقنا على الرحيل
من الغد وانا نا بكدشين وخرج بنا الى المدينة فاذا انا اليها حومة حومة
فاذا هي مدينة كبيرة عامرة واسواقها مشحونة بالتجار واهل الحرف
والبيع والشراء واذا بالمدينة لاسور لها الا من جهة المرسى ومن الجهات
الاخر سورها البحر لقصره ولعدم دخول المراكب اليه لما فيه من الحجر
وقصر البحر ومن الغد اصبح الحاكم المذكور ومن معه في تهيئة رحيلنا
وقد برز ايضا على العادة جميع من بالمدينة من الشلنداق والخويلة وسائر
الناس لتشييعنا بعد ان قدم الحاكم الى بمدينة سانتامريه بعض اصحابه

مخبرا بورودنا عليها لتعدادا موضع النزول ومن صبيحة اليوم الذي خرجنا
من فاس بينما نحن في تهيئة الرحيل اذ دخل علينا فسيس من فسوس
النصارى نزيل في بلاد القسطنطينية العظمى واخبرنا بالفتح الذي من
الله به على جيش المسلمين وان السلطان سليمان امده الله تعالى
بمعونته استخلص مدينة بيرا الاغراض وعمالتها وما حولها وهو
معتن بما هنالك من حيطانها ومشتغل باصلاح ما خرب من اسوارها
وقد جعل ذلك ذريعا بما حول الله تعالى من نصر المسلمين وكان النصارى
يرون له بفتحه تلك المدينة واسترجاعها فوزا ويداً وينعرونه احسن
الذعر وخرجنا الى البحر فوجدنا المركب الذي اخذ بنا من الصبيحة اليه
على حالته الاولى فركبنا في حفظ الله تعالى وقصدنا مدينة دانت
سانتامرية في البحر وقدرما بينهما ستة اميال فما كان الا اسرع من
مرور ساعة زمانية وقد اشرفنا على بر المدينة المذكورة فوجدنا بها
سربة من الخيل تنيف على المائة وقد برزت للافاتنا والظهر وامن
البحر والسرور الظهر وا وحين ارسينا على مدينة سانتامرية وجدنا
بساحل بحرها خلقا كثيرا من الرجال والنساء وقد برز حاكمها وقاضيها
للملافات ومعهما عدتان لركوبنا وحين التقينا بهما عملا من الهواب
وحسن الملافات ما لا ينكر لهما وقد دخلنا المدينة ولحقوا بها جميع ازفتنا
وديارها واسواقها واذا هي مدينة كبيرة واسعة رحبة الفناء فسيحة
الارجاء وازقتها كلها مفروشة بالحجارة وهي من حواضر العدوة ومن

وقد بها من العمالة لاصلاحها وخدمة البنيان اثنا عشر الفا واستبشرنا اذ ذاك الخ

المفصودين

المقصودين في السبب والتجارة ومع هذا فلا سور لها حاجز بين المدينة وبين
البحر وكذلك ما يلي البر منها وبطرفها من جهة البحر دار كبيرة وقد
سدوا بابها الذي يدخل اليها منه وهي الدار التي كان نزلها السلطان
الشيخ ابن السلطان احمد الذهبي الداخل الى اسبانيا فلا يعمرها
احد ولا يسكنها اذ عوايد النصارى ان يحترموا الدار التي كان نزلها
ملك من الملوك ويبنوا بابها فلا يسكنها احد وبناء بابها علامة
ذلك عليها فما فعلوا بعد في دار هي اليوم غير معمورة من عهد كرلوص
كينطوا اذ كان حارب ملك البرتغيس وغلب عليه وأسره واتى به
الى تخت ملكه ودار سلطنته مدريد وانزله بالدار المذكورة وبقي تحت
يده زمانا الى ان سرحه ومن عليه فتركوا الدار التي كان بها على حالها
وغلقوا بابها بالبناء وهي معروفة مشهورة ولما ان حللنا دار النزول
بمدينة سانتامرية ورد اهلها واعيانها للسلام والترحيب وفيهم من
البشاشة وحسن الملافات والبشر ما ليس في غيرهم ولم يزل الحاكم والقاضي
يختلفان الينا ويترددان الى ان مد اليل رواقه وارخى في عنق الجوزا اطواقه
ومن الغد حين اصبحنا ورد علينا بعض الاعيان الدوك المتولي امر هذه
الكوشطة القاطن بمدينة سارلوكار معتذرا عن حاله مشيعه عرض منعه
عن القدوم فقبلنا اعتذاره وخرجنا من المدينة بعد ان برز ايضا اهلها
للتشييع وخرج الحاكم والقاضي المذكوران وقبطان الخيل مع سريته وسارو
معنا مسافة ثلاثة اميال الى ان وصلنا حدا معلوما عندهم فاحلابين عيالتهم

وعمالة مدينة شريش بمترجل الاعيان وجمع من برزمعنا وشيعونا
بعد ان اعتذروا عن التقصير وقال واحد الحد صوحاصل بيننا وبين حاكم
البلد الاخرى التي تقابلنا ولو امكننا الزيادة لسرنا معكم اليوم كله
اجلالا وتعظيما لمرسلكم وقصدهم معنى ما قيل *

ولبرد عين الف عين تكرم ٤ فشيعنا هم ورجعوا عنا
وسرنا مسافة فوصلنا مدينة شريش وفيما بين المدينة بلاد متسعة ذات
انجار وانهار وبها من الزياتين والبساتين والكروم وانواع الغراسة ما لا
يحصى ومدينة شريش مدينة كبيرة واسعة واثرها اثر الحاضرة القديمة
وقد بقي من اسوارها اثر واعثر درس وخرب لان النصارى لم يكن لهم
اعتناء ببناء الاسوار ولا بتحصين المدن الا في البعض مما قارب البحر
كقادس من جهة المرسى ومدينة جبل الفتح فانها حصينة ولها
سور عظيم يشاهق لبنائه على الموج ومدينة شريش هذه تلقب بشريش
الحرب ومعناها المقابلة ويعنون بها المقابلة لبر الاسلام اعزه الله وجل
اهلها من اهل الاندلس واعيانهم لانهم تنصروا وهم اهل حراثة وفلاحة
بعبرناها ضحوة ولم نزل سايرين ذلك اليوم الى ان بلغنا عشية مدينة
لها البرجة هي مدينة صغيرة الى البداوة اميل واثر سورها ايضا
خرب وحشر فلغينا حاكمها وقاضيها وانزلونا دارا لبعض اكابرهم وجعلوا
يتناوبون علينا السلام وفيها انتسب لنا البعض الى الاندلس باشارة خفية
لم يقدر على التصريح بغير كلام خفي والغالب على جل سكانها

انهم

انهم من بقايا الاندلس الاان العدو قد غلب عليهم وربوا في محبوحة الكفر
فغلبت عليهم الشقاوة والعياذ بالله ومن الغد ارتحلنا الى مدينة يقال لها
الحريرة وفيما بينهما بلاد متسعة وارض فسيحة معمورة بغراب
الحرث والمواشي واكثر غنم الاندلس سرد وعن يسار السائر من البرجة
الى الحريرة مقدار ميلين او ثلاثة الوادي الكبير المخترق من اشبيلية
التي تجتمع فيه سائر اودية الاندلس وتسافر فيه المراكب من البحر الكبير
الى ان تصل اشبيلية على مسافة اربعين ميلا من البحر المذكور ومدينة
الحريرة هذه هي مدينة بين الصغر والكبر وجل اهلها من بقايا الاندلس
وصلناها عشية اليوم فوجدنا جميع اهلها قد برزوا للاستسقاء وهم على
عدد نسماتهم فدرجع كل واحد منهم صليبا على كتفه فلفونا على
تلك الحالة حيث لم يمكنهم التخلف فنزلنا بالمدينة دار كبيرة مشرفة على
جل المدينة وبعد ان طرحوا صلبانهم ورحبوا ايضا للسلام علينا وهم في البشاشة
والفرح بمكان واهلها ذوات عظام والغالب عليهم الحسن رجالا ونساء
ولقد شاهدنا ابنتين احديهما بنت حاكم البلد والاخرى بنت القاضي في غاية
من الحسن والجمال والكمال لم ترعينك في جميع ما رأيت من بلاد اسبانيا
على سعتها اجمل منهما وهما من بنات الاندلس ومن دم ملك غرناطة
الاخير الذي كان غلب عليها وهو الملك المعروف عندهم بالري الشيخ
ومعناه السلطان الصغير ولقد اخبرني بمدينة مدريد رجل يسمى
فرون الونش حفيد موسى اخي السلطان حسن المتغلب عليه بغرناطة

ان البنتين اللتين بالحريرة من حمه وحنون الوش هذا هو رجل
حسن الاخلاق حسن الشباب له قوة وشجاعة معروفة عند النصارى
وهو معدود من جرسانهم وشجعانهم ويقوم الى الجمال والشرور فبطانا على
جماعة من الخيل والنصارى يعتدون بشجاعته ومع هذا فهو ما يصل
الى من يلقاه من اهل الاسلام ويذكر نسبته ويعجبه ما سمعه من الحديث
عن الاسلام واهله ولقد حدثني عن امه انها حين حملت به اشتهت
اكل الكسكوس فقال لها ابوها اصل هذا الحمل الذي في بطنك من
ضنو المسلمين يذاعبها بذلك اذا كانوا لا ينفرون عن نسبتهم لعلمهم
به وانهم من بيت الملك نعوذ بالله من الخذلان والغواية ونسئله
التوفيق والهداية ومن عظيم بشاشة اهل الحريرة انهم وردوا علينا
ليلة مبيتنا عندهم بالعرايلية الذين يحسنون الغناء في قنا بسهم
وبيدهم آلة اللهو والطرب منها آلة يسمونها الاربة ذات اوتار
عدة وهي خشنة الشكل يزعمون انها آلة النبي داوود على
نبينا وعليه الصلاة والسلام وعلى شكلها رايت بيد صورة من الصور
التي يجعلونها في بيوتهم وديارهم ويزعمون انها صورة النبي داوود عليه
السلام اذ جميع تواريخهم ودياناتهم هي ماخوذة عن ديانات بني
اسراءيل وعن التوراة في زعمهم الا ما زادوه من الفرق الحاصل بينهم وبينا
اليهود حين تابوا على المسيح وصارت العداوة بينهم بسبب ذلك
ولم يزالوا من ذلك العهد يحدثون في اديانهم واعتقاداتهم العباسية

وخلالهم

وضلالهم ما يحدثه لهم اباؤهم البتة بوجوه الحيف الله بكابر فوهه وبين
مدينة الحريرة هذه الى مدينة مرشينة عشرون ميلا فيما بينهما ارض واسعة
فسيحة متسعة الارجاء سهلة وليس بهذه البلاد الاندلسية جبال
الا ما هو عن يمين المار تظهر على مرمى العين فجبال الرونده وما والاها
وفيما بين الحريرة ومرشينة واد كبير عليه قنطرة كبيرة مبنية احسن بناء
من عهد المسلمين وبهذا الواد كانت وقعة الزلاقة الشهيرة الذكر على
هذا الوادي كنيسة صغيرة بها صورة حرب الزلاقة منقوش بحيطانها
ومدينة مرشينة هي مدينة متوسطة ايضا اثرها اثر الحضارة القديمة وهي
اليوم الى البداوة اميل واهلها اهل بشاشة ومنهم من ينسب الى الاندلس
انتسابا ومنها الى مدينة ايشكا احد وعشرون ميلا وفيما بينهما بلاد
متسعة الارجاء فسيحة ذات جنات وبساتين واكثر شجرها شجر الزيتون
فعلى مدينة مرشينة من ناحية ايشكا ثمانية اميال كلها معمورة بالزياتين
وفي كل غابة من زياتينها دار مخزن الزيتون ولعمران من يقوم بها وبامرها
وكذلك فيما يلي ايشكا من طريق مرشينة ايضا من الزيتون مسيرة ثمانية
ايام اخرى يمينا وشمالا وخلفا واماما آذ الاندلسية اكثر عمارة العدوة
بشجرا وزيتونا وعلى قرب مدينة ايشكا في اعلى ربوة من الارض مطلة على
المدينة اثر بناء قديم مصلح زعموا انها روضة صالح من صلحاء المسلمين
راوا له بركة عظيمة فتزاوروه على ما هي عليه ولما اشرفنا
على مدينة ايشكا رايناها من حسن المنظر وبهاءه ما ليس في غيرها

من سايرمدن العدوة وهي في غور من الارض على شقير الواحي المسمى بواحي
شنيل وشنيل هذا من حيث ابتداؤه عليه من المنتزهات والبساتين
وحسن المنظر ما خامل عقول كثير من ادباء الاندلس وقد اكثروا فيه
من قول الشعر على كل وزن وكل قافية ونظموا فيه من الارجال والموشحات
ما لا يحصى ولا يعد وما يفوت الحصر والعد فمن ذلك ما قاله بالحضرة
من قول اثير الدين ابو حيان رحمه الله وهو مصري يتشوف الى وطنه
بغرناطة ويحب منازله بها ويبث شوقه وانجانه ويندب معاهده
بها ومشاهده وهو قوله :

طهل تذكرين منازلا بالاحبل ، ومنازلا صفت بشقي شنل
، ومشاهدا ومعاهدا ومنا خرا ، ومفاخرا للفاخرات الرعل
، حيث الرياض تبخترت ازهارها فبتممت اذكى من ارج المندل
، والطير تشدو مجلجات بالغنا ، فوق الغصون الناعمات الميل
، يختير للمشتاق داء دلهنا ، وتذيل صابر دمعه المنهل

وما زال يسمى عند النصارى باسمه الاول المعهود وهو واد كبير يخرج
من وادي آش ومن واحي شنيل من احواز غرناطة وجبالها وعلى هذا
الوادي من المنتزهات والاجنات والبساتين والارحية وانواع الغراسة
ما لا يحصى وليس في سايرما رأينا بالعدوة الاندلسية منتزها ابهى منه
منظرا والمدينة على شقير هذا الواحي المذكور مع ما دار بها من البساتين
والمنازل والدور التي في البساتين عليها فلك دارت عوائده ولقد اذكرني

ما شاهدته

ما شاهدته من حسن هذا الواحي وبديع منظره وبهايه قول حمد
الاندلسي الشاعر التي من وادي آش :

، اباح الدمع اسرار سواد ، له في الحسن اثار بوادي
، فمن نصر يطوف بكل روض ، ومن روض يطوف بكل وادي
، ومن بين الضباء مهاة رمل ، سبت لبي وقد سلبت فؤادي
، لها الحكم نفذ الامر ، وذاك الامر بمنعني رقادي
، اذا اسدلت ذوايبها عليها ، رايت البدر في جنح السواد
، كان الضيم مات له شقيق ، فمن حزن تسربل بالحداد

ولحمد هذا هو من شاعرات الاندلس واخبارها مشهورة في محلها من
اخبار شعراء العدوة وشاعراتها وهي الفاضلة

، ولما ابى الوالون الا مرافنا ، وما لهم عنج وعندي من ثار
، وشنوا على اسما غناكل غارة ، وقل حماة عند ذاك وانفار
، غزوتهم من مغلتي وادمعي ، ومن نفثي بالسيف والنبل والنار

ولقد انشدت حين ابصرت هذه المدينة وجميل منظرها متمثلا ببيت
من الجزيري وضمنتها بيتين اخرين ،

، ٢ اليت اذ نظرت عيني محاسنها ، ان لا نظير لها في مطلق العور
وهذا ان بيتا التضمين نديلا

، بالله ينفذها حتى يدان بها ، دين المهيمن محروسا من الغير
، بكف محتسب الاجر منتدب ، له منتسب لافضل البشر

وحين قربنا من المدينة برز احمد صاحب جدشه ومعه اولاده ومن معه
من اصحابه راكبين خيولهم له زعم انها من احسن خيل الاندلسية
واجودها فلقينا خارج المدينة ورحب بنا ولم يدع من البشر وحسن
الملاقات شيئا وسار بنا الى المدينة وطاف بنا اسواقها ورحابها
وازقتها فاذا هي مدينة متحضرة بين الصغر والكبر وهي في غاية
النظافة ولاهلها حسن اخلاق وجمال وبوسطها المسجد الجامع
الخ بها هو وسطه عجيب الشكل متقن البناء وبحنته اشجار
النارنج وهو من عهد المسلمين وقد بقي على حاله فوصل بنا حاكم
المدينة الى دار وهي دار كبيرة واسعة فانزلنا بها احسن نزول ولم
يقصر في الاكرام ولا فيما وجب عليه من الاعواب وحسن الخطاب فبتنا
بدار تلك الليلة ومن الغد خرجنا من المدينة واذا على
طرفها قنطرة عجيبة وعليها باب هذه المدينة وتحت هذه القنطرة
من الارحية والبناءات شيء كثير ومن هذه المدينة وصلنا
الى مدينة قرطبة ومدينة قرطبة هي مدينة كبيرة حاضرة
من حواضر العدوة وهي دار ملك قديم وفيها كان سكنى ولاة الاندلس
قبل دخول عبد الرحمن بن معاوية في سنة ثمان وستين
ومائة انتقل عبد الرحمن من الرصافة اذ كان سكناه بها الى
قرطبة وجعلها مقر ملكه وسرير سلطنته وخلافته اذ كان
بها سكنى ملوك بني أمية من عهد عبد الرحمن الداخل وغيره

ممن كان

ممن كان قبله ومن ولي من بعده من خلفه والمدينة في سفح
جبل يضمها سير مدينة وهي على ضفة الوادي المسمى بالوادي
الكبير الخ. ينحدر من جبال باسة وجبال جيان وغيرها والنصارى
يسمونه باسمه المعهود في عهد المسلمين وهذا الوادي هو اكبر
اودية الاندلس كلها وبها يجتمع سايرها وهو الخ يمر بالشبيلية
وينحدر الى البحر عند مدينة سان لوكار وبخارج مدينة قرطبة
من البساتين والجنانات وانواع الكروم ما لا يحصى وحين قربنا
من المدينة برز اهلها للملاقات وبرز من بهامن الاسارى وهم يعلنون
بلفظ السعادة ويدعون بالنصر لسيدنا المنصور بالله تعلى وصيان
النصارى يقولون مثل ما يقوله الاسارى ولما ان دخلنا المدينة رايناها
مدينة كبيرة عامرة مشحونة بانواع الحرف والصنايع واكثر باعتها
نساء فنزلنا دار حاكمها ومن الغد خرجنا منها بعد ان عبرنا مسجدها
الاعظم الشهير الذكر البعيد الصيت وهو مسجد كبير جدا وهو في غاية
الاتقان وحسن البناء وبداخله الف وثلاثمائة وستون سارية كلها
من الرخام الابيض بين كل ساريتين قوس فوقه قوس واخر وله من
الابواب الان اربعة عشر بابا وقد سد كثير من الابواب غيرها
ومحرابه الاسلامي باق على حاله لم يتغير ولم يحدث فيه شيء
الا انهم جعلوا عليه شباكا من نحاس وطرحوا امامه صليبا فلم يدخل
عليه احد الا فيم ذلك الصليب ولم يزد بداخله ولا بخارجه شيء قليل

ولا كثير وهذا المسجد حسن كبير جدا مشتمل على خمسة عشر ممرا
وسطه وبدورها مع سائر الحسن من اشجار الرمان مائة وسبعة
عشر شجرة ويقابل موضع المحراب من الحسن منار المسجد وهو
منار كبير مبني من الحجارة الا انه ليس بغاية الارتفاع ومنار لطيلطلة
واشبيليه وهو مبني على باب من ابواب المسجد المقابلة لموضع
العنزة ومازال سقف هذا المسجد وابوابه باقية على حالها لم
يحدث فيها شيء الا ما تدعوا الضرورة اليه من اصلاح السقف الذي
يتداعى الى السقوط ونحو ذلك وقد احدث النصارى بوسط
هذا المسجد مقابلا لمحرابه قبة كبيرة مربعة مشبكة بشبابيك
من نحاس اصفر جعلوا داخل هذه القبة صليبا من صلبانهم وقببا
صلوانهم التي يحضرونها مع الموسى ونحوهما وابواب هذا المسجد
باقية على حالها من البناء الاول والنقش بالكتابة العربية وهذا
المسجد هو اكبر من مساجد الدنيا واعظمها صيتا بنى سنة
تسع وتسعين ومائة ابتاع الامام عبد الرحمن الداخل موضع الجامع
بقرطبة من نصارى الذمة وكان بالموضع المذكور كنيسة قديمة
جامشتراها بمائة الف دينار وزاد في مساحة المسجد وبنى سنة هذا ومائة
اسس الامام الجامع بقرطبة واخذ في بنائه واتقانه وبنا من مال
الاحباس وانفق في بنائه مائتي الف دينار وفي ذلك يقول بعضهم.

وابرز في ذات الالاء ووجهه ٭ ثمانين الجامن لجين وعسجد ٭

وانفقها

٭ وانفقها في مسجد اسه التقى ٭ ومنهاجه دين النبي محمد ٭
٭ نرى الذهب الوهاج بين ممرقه ٭ بلوح كلمع البارق المتوقد ٭
وجعل للجامع سبعة ابواب اخذاك ومازال ملوك بني امية يزيدون
في بناء هذا المسجد والاحتفال فيه الى زمن المنصور بن ابي عامر فزاد
فيه على من قبله الامام عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن
الداخل على ما كان زاد فيه جدا الداخل زيادة كثيرة ورفع سمكه
وفي ذلك يقول شاعر ابن المشنى ٭

٭ بنيت لله خير بيت ٭ تخرس عن وصفه الانام ٭
٭ يحج اليه من كل اوب ٭ كانه المسجد الحرام ٭
٭ كان محرابه اذا ما ٭ صفت به الركن والمقام ٭

وقال اخر ٭

٭ بني مسجد لم يبن لله مثله ٭ ولا مثله لله في الارض مسجد ٭
٭ سوى ما ابتنى الرحمن والمسجد الذي ٭ بناه نبي المسلمين محمد ٭
٭ له عمد حمر وخضر كانما ٭ تلوح يواقيت بها وزبرجد ٭
٭ الا يمين الله لازلت سالما ٭ ولازلت في كل الامور تسدد ٭
٭ فيا ليتنا نفديك في كل حادث ٭ وانى الاسلام فينا مخلد ٭

وعبد الرحمن هذا هو اول من ملك الاندلس ابهة الخلافة وامر
ببناء الجامع باشبيلية وبناء سورها من اجل هروب المجوس فيها من
البحر الرومي سنة ٥٣ وفي سنة اربع وثلاثين ومائتين امر الامام

عبد الرحمن هذا ابنا، الجوامع الكبيرة بسائر الاندلس فبنيت وصنع بها
المنابر للخطباء وتنافس جواريه في بناء المساجد وعمارتها واتخاذ الاوقاف
لها افتداء بفعله فبنى مسجد ضروب ومسجد مجد ومسجد الشبا ومسجد
متعة وكانت له همة في كتب العلوم والادب فلقد بعث تلميذه عباس
ابن ناصح الثقفي الى بغداد بالاموال فاشترى له منها كل غريب
وكان ضابطها للغريب راويا لاشعار العرب ذاكرا لايام الناس ولقد
وردت عليه حسانة التميمية متشكية مجابر بن لبيد والي البيرة
وكان والد الحكم قد وقع لها بخط يده بتحرير املاكها وحملها على ذلك
على البر والاكرام فتوسلت الى جابر بخط الحكم فلم يقدها فدخلت
الى الامام عبد الرحمن واقامت بفنائه وتلطفت مع احدى نسائه
حتى اوصلتها اليه وهو في حال طرب فانتسبت له بمعرفتها وعرف
اباها ثم انشدته مرتجلة هذه الابيات

الى ذي العلى والمجد خارت ركابنا ... على شط تلقى بنار الهواجر
ليجبر صدعي انه خير جابر ... وبمنعني من ذي الظلامة جابر
فانا رأينا من بغيضة جابر ... كذي الريش اضحى في مخالب كاشر
جابر بمثلي ان تكون مروعه ... لموت ابي العاصي الذي كان ناصري
سقاك الحيا لو كان حيا لما اعتدى ... على زمان باطش بطش فادر
ابحنا الذي خطته يمناه جابر ... لقد هام هذا الملك احدى الكبائر

فلما تمت انشادها دفعت اليه خط والد الحكم بتحرير املاكها

وحملها

وحملها على المراعات والحابات ونفت عليه جميع امرها مع جابر
وامتناعه عليها فرق لها واخذ خطه ابيه بقبله ووضعه على عينيه
وقال لقد تعدى ابن لبيد طوره وسفه رأيه فيما يفض امر
الامام الحكم وحسبنا ان نسلك سبيله بعده ونحفظ بعد مونه
عهده اضربي ياحسانة فقد عزلته لك ووقع لها بمثل توقيع
ابيه الحكم فقبلت يده وامرها نجاز ما تضمنت وبعثت اليه
بقصيدة من البيرة منها

ابن الهاشمين خير الناس ماشرة ... وخير مشجع يوما لورادا
ان هز يوم الوغى اثناء صعدته ... رأى انابيب من صوب فرصادا
قل للامام اياخير الورى نسبا ... مقابلا بين اباء واجدادا
جدبت ضيعتي ولم ترض الظلامة لي ... بهاء بفضل ثناء رائع غادا
فان اقمت في نعماك عاقبة ... وان رحلت فقد زودتني زادا

ثم ان عبد الرحمن الناصر وهو عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله
ابن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل
ابن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان وهم نجم بني امية
بالاندلس شرع في الزيادة في جامع قرطبة ببناء وعمله وارتفعت
في الزيادة عند كمالها ستون ذراعا وستون ذريعة في كل ذراع عشرون كاسا
كانت كلها مذهبة وفي سنة خمس وخمسين وثلاثمائة تم منبر
جامع قرطبة بالعمل ونصب بالمقصورة مؤلفا من الابنوس والعندل

الاحمر والاصفر والعناب والبقم وانتهى الانفاق فيه الى خمسة وثلاثين
دينارا وخمسمائة دينار وعدد درجه تسع درجات وقام هذا المنبر
من ستة وثلاثين الف رطل وكان الانفاق في الزيادة في الجامع مائة الف
دينار واحدى وستين الف دينار ونيف وفي سنة احدى وثمانين
وثلاثمائة ابتدا المنصور بن ابي عامر بالزيادة في المسجد الجامع
بقرطبة زاد فيه نحو النصف على ما كان بناه الخلفاء قبله وعمل الناس
فيه سنة اربع وثمانين فكان العمل فيه ثلاث سنين وخدم في بنايه
الاعلاج ووجوه فرسان الخلافة والفرنج يعملون مع الصناع مصفدين
في الحديد الى ان كمل وبنى فيه الجباب لاستقرار الماء من
الامطار في صحن الجامع وعدد سواريه الف واربعمائة سارية
وسبع سوار منها في المنار والمقصورة وغير ذلك ويقابل هذا المسجد
القصبة الكبرى التي كانت دار ملك قرطبة وسرير سلطنة العدوة
حين اجتماع كلمتها وقبل حلول ملوك الطوايف بها نسئل الله
تعالى ان يعيدها دار اسلام بجاه نبيه عليه السلام وما زالت اسوار
القصبة باقية على حالها من حسن البنا وارتفاع سمكه وعلوه
في الجو على قدر علو المسجد ومن عظيم اثر بنيان هذا المسجد وعلو سمك
جدرانه في الجو ان جعلوا له سوارا من خارج الجدران مبنية من الحجارة
خارجة من الحائط نفسه وبين كل سارية وبين كل سارية مقدار عشرة اذرع لتشد
حيطانه وترصص جدرانه ويدور بالمسجد كله بنيان على قدر قامة

الانسان

الانسان بارزا مثل الشاذروان احتياطا للحائط المذكور وهذا المسجد
هو من احسن مساجد الاسلام وهيئته يغني عن الاطناب في وصفه وهو
بمقدار المسجد الاقصى على ما قيل ولقد نقلت من كتابه نزهة
المشتاق في ذكر الامصار والاقطار والبلدان والمدائن والاقاليم حيث
ذكر المسجد الاقصى ووصفه الى ان قال وليس في الارض كلها مسجد
على قدره الا المسجد الجامع الذي بقرطبة من بلاد الاندلس وفيها
يذكر ان سقف جامع قرطبة اكبر من سقف الجامع الاقصى وعن المسجد
الاقصى في تربيع طوله مايتا باع في عرض مائة وثمانين باعا
وفي احواز مدينة قرطبة على شفير الوادي من ارض الحراثة والعرابي
لنتاج الخيل ما لا يحصى لان خيل بلاد قرطبة واحوازها من البلاد
الاندلسية احسن عند النصارى من خيل جميع بلاد اسبانيا على
سعتها وبسبب ذلك منع طاغية اسبانيا اهل الاندلس من ان
ينزو احد حمارا على فرس ومن فعل عليه ذلك يعاقب عقوبة
كبيرة باخذ ماله او حبسه او غير ذلك من انواع العقوبات
ونتاج البغال عندهم هو بالبلاد المعروفة بمانشا ومعناها العلامة
ومانشا هذه هي بلاد واسعة جدا مسيرة ستة ايام وهي
ارض خشنة ذات احجار ومنابتها الشيح وغير من المنابت
اليابسة وهي البلاد الفاصلة بين الاندلسية وبين قشتالة
الجديدة وبغال هذه البلاد تشاكل بغال بلاد الشام او تقرب منها
واهل قرطبة اهل حراثة وفلاحة وبلاد الاندلسية كلها هي قليلة

المياه الامابها من الاودية المذكورة ولم يكن لاهلها اعتناء بالسواني
ولا باخراجها اذ حراثتهم كلها في البلاد البعلية الا ما سمع من غرناطة
واحوازها من تدفين المياه وجريانها من كل موضع وعلى هذا الوادي
من العناصر البنية احسن بناء عدد كثير وعلى باب مدينة فرطبة
فنطرة كبيرة وتحتها اثر فنطرة اخرى زعموا ان السيل هي التي
اسمها المسلمون فخربها السيل فيما قرب الان من عشرة اعوام
فجدد النصارى موقعها بقليل فنطرة اخرى لها من الاقواس سبعة عشر
وقد قيل في مدح قرطبة ووصف مفاخرها

بأربع بافت الامصار قرطبة ، وهن فنطرة الوادي وجامعها
ثم قصران تنتان والزهراء ثالثة ، والعلم اكبر شيء وهو رابعها

ومن قرطبة الى مدينة تسمى الكاريى خمسة عشر ميلا وهي
صغيرة على نشز من الارض قرب الوادي ايضا وبهذا الوادي دواليب
ونواعير تصعد الماء من الوادي الى بساتين تحت المدينة واهلها
اهل فلاحة وحراثة وهم الى البداوة اميل وعلى هذا الوادي من
جانبيه من المداشر والقرى ما لا عدد له ومن مدينة الكاريى
هذه الى مدينة تسمى اندوخر احد وعشرون ميلا وهي مدينة
قديمة اثرها اثر الحضارة وهي على ضفة الوادي الكبير ايضا وعلى
هذا الوادي بغرب المدينة فنطرة كبيرة من عمل الاسلام وبعض
هذه المدينة من الزياتين والغروس والبساتين وارض الحراثة ما لا يحصى

واهلها

واهلها اهل حراثة وفلاحة والغالب على عمارها انهم من بقايا
الاندلس وجلهم من اولاد السراج الذين كانوا تنصروا على عهد السلطان
ابي الحسن اخر ملوك بني نصر غرناطة وذلك فيما يزعمونه النصارى
ويتقولون به تواريخهم ان بعض اولاد ابن زكي الغرناطيين بغرناطة
كان وشى الى الملك باحد اولاد السراج وذكر عنه ان له كلاما مع
زوجة ابن الملك ومخالطة مجنون الملك على اولاد السراج الذين
معه بغرناطة فقتل منهم جماعة اعيان وكانوا اولاد السراج
في ذلك العهد وهم اقوى حبس المسلمين وبلادهم اندوخر بيدهم
باقية بعد تغلب الكفرة على قرطبة واحوازها يحاربون عليها
ويدبون عنها مجبين بلغهم خبر من قتل من اخوانهم بغرناطة حملتهم
الحمية والانفة والحنق والغيظ على ان ركبوا من ساعتهم وقصدوا
لماغية الوقت فتنصروا على يده وخرجوا من عنده قاصدين
غرناطة فاغاروا عليها وحضروا بعد ذلك مع الماغية في حروب
غرناطة واحوازها نعوذ بالله من الضلال بعد الرشاد ومن الغواية
بعد الهداية وقد قيل هؤلاء المتنصرة الذين رأيتهم وخبرت عنهم
اكابر اهل البلد غير انه لا يعتد عند النصارى مثل ما لهم من الكبيرة
التي يتوارثها النصارى خلفا عن سلف مثل الدوق او الكونت
وشبههما واكثر ما يحصل لهم اليوم من الكبيرة ان من يكون من
نسل هؤلاء القوم الذين تنصروا ان يرث محل الصليب على عنقه

يرفعه في ثوبه المتذئر به فذلك هي علامة الاغابر منهم والخطط
التي يتولونها بغايا هذا الجنس المذكور هي الكتابة وحكومة البلدان
والشرطة وغيرها مما ليست له وجاهة كبيرة وولاية شنيعة مثل
التصرف في العمال او الولاية للاقاليم الكبيرة والمدن القواعد
مثل اشبيلية وماشاكلها وعلى كل حال فهم في هذه النواحي
كثيرون لا يحصون فمنهم من ينسب ومنهم من لا ينتسب ومنهم
من ينفر من مماعه لانتساب ذلك والذي ينفر من هذا النسبة
ويتابى عنها ينسب الى جبال نبارى وهي جبال بعيدة من
قسطالة طن انحاز اليها من بقي من النصارى من ساعة تغلب
المسلمين على العدوة ويتفاخرون بالانتساب الى تلك الجبال
وما والاها والذين بيدهم ولاية او خطة من الخطط المخزنية من
اهل هذا الجنس لا ينفرون من الانتساب فلقد لقيت يوما بمدينة
مدريد رجلا نسيت اسمه الان راكبا في قدش له ومعه جماعة
من النساء صغارا وكبارا لهم حسن وجمال فوقف وسلم سلاما كثيرا
والظهر هو ومن معه من النساء بشرا وترحيبا وقابلنا بما يجب وحين
اراد الانصراف عرف بنفسه بان قال نحن من جنس المسلمين
من نسل اولاد السراج فسألت عنه بعد ذلك فقيل لي انه من كتاب
الديوان وهو الذي يفرا ما يحصل بالديوان من رفاع وعرض حال
وشبهه وكذلك ايضا كانت جماعة من اهل غرناطة لهم بغرناطة
ولاية

ولاية واحكام وسكناهم بمدينة مادريد ترد علينا صحبة فنون
الوفي القادمون من عقب غرناطة وينتسبون الى الجنس الذي كان بغرناطة
وغلب عليهم الشقاء والعياذ بالله ولقد كانوا يسئلون عن دين
الاسلام وعن اشياء منه فحين يسمعون بالخبيهم به عنه من
الديانات واحكام الطهارة التي بنى الاسلام عليها وغير ذلك يعجبهم
ما يسمعون منه وينصتون اليه ويشكرونه بحضر النصارى ولا يعبئون
بمن حضر ولم يزالوا مدة مقامنا بمدينة مادريد يكثرون التردد
لدينا ويردون علينا المرة بعد المرة ويظهرون من المحبة والتحنن
شيئا كثيرا نسئل الله تعالى ان يهديهم الى الصراط المستقيم ويرشدهم
الى الدين القويم ومن مدينة اندوخر هذه الى مدينة تسمى لينارس
اربعة وعشرون ميلا وعلى مسيرة ثلاثة اميال او اربعة من مدينة
اندوخر يعارض المسار الوادي الكبير ويتركه يمينه عند ما يخرج من
الجبال ومدينة لينارس هي مدينة متوسطة اثرها اثر الحضارة قديما
وبها من بقايا الاندلس النزر من سكانها وتخارجها معادن كثيرة
من الرصاص الذي ينقل الى كثير من بلاد اسبانيا ولقد ان وصلنا
هذه المدينة ورد علينا اهلها للسلام على العادة وورد علينا جماعة
من البرابلية مسلمين علينا وطلبوا منا على لسان الراهبات
ان نعلمهم وننصرهم مواعدناهم من الغد ولما اردنا الخروج من
المدينة صوب طرفنا الكنيسة التي هي به فدخلنا عليهن فوجدناهن

في دار مجاورة لكنيسة ويسمعن الميسة وهي في غاية ما يكون من
التخبط والعون منهن الصغيرة من سبعة اعوام الى العجايز والعجالات
ومن ابكار (من ع اذا نهن) وعادتهن في ذلك ان جميع
من احبت الترهب والتزهد تدخل الكنيسة المعد لذلك سواء
كانت صغيرة او كبيرة بعد ان تخلب وتشهد على نفسها انها
لم تؤثر الدخول لذلك الموضع الا بعد ان لم يبق لها في الدنيا ارب
ولا غرض ولا تتعلق لها شهوة في رجل ولا في نظر ولا في دخول ولا في خروج
فتدخل الكنيسة وتلبس من اللباس ما خشن فان كان لها مال
يجري عليها منه بالفصل ومن ليس لها مال منهن تخدم غيرها
وتعيش معها او تاكل من الحبس الموقوف عليهن وهذا الكنيسة
المعد للراهبات ويسمونه بالعجمية المونكاص لا يدخله احد
من الرجال اصلا وعليهن عجايز موكلات بهن فاذا حصل باحداهن
مرض تتوقف فيه على الطبيب يدعى لها الطبيب ويدخل عليها
بعد ان يحلفن به اربعة عجايز واحدة عن يمينه والاخرى عن شماله
والثالثة من خلفه والرابعة امامه فيدرن به حين دخوله باب
الكنيسة ولا يعارفنه حتى تخرج ودخول المراة الكنيسة هو بمثابة
موتها اذ لم يبق لها ارب في شيء من الدنيا الا من دخلت منهن صغيرة
السن قبل البلوغ تبقى به الى ان يستانس منها البلوغ فتستشار
حينيذ وتخير في امرها ويلقى اليها امر نفسها فيما تاتي وتذر ذلك

الموضع

الموضع واحبته وقالت لا ارب لي في الخروج ولا في التزويج بعد ان يخلى
بينها وبين نفسها يشهد عليها بقبول ذلك ويوخذ عليها العهود
والمواثيق على مقامها هنالك بغرضها وانها لم يبق لها تعلق ولا
تشوف الى شيء من امور الدنيا وان هي احبت الخروج والتزويج لا تمنع
منه وتجاب اليه فمنهن من تؤثر المقام هنالك لاجل الالفة ومنهن
من تؤثر المقام لما يغلب على ظنهن انهن على طريق قويمة ومنهن
من تخاف السبة والعار بخروجها بعد ان حسبت من الراهبات
والغالب على دخولهن الى الكنيسة عدم وجدان الهدان التي
تعطيه على زواجها للرجل ففي عوايدهم ان المراة تدفع المهر من
عندها وصاروا يتغالبون في ذلك حتى وال الى عدد كثير لا يقدر عليه
الا من له ومبروة مال او ميراث كثير فعن يدخل هذا الموضع المعد
لذلك حينما لا يجدن انتزاعا في المال ومنهن من تكون من الاعيان الاكابر
ذات المال الكثير فتزعم انها زهدت ورغبت الدنيا والرياسة وحب
الكبيرة وتدع كبيرتها ورياستها لغيرها من اخواتها او اهاليها وتدخل
الكنيسة والغالب عليهن انهن ابكار (من ع اذا نهن) اذ البكارة
لا تعرف ولا تشترط في الارباب وبات ومنهن من يحب ابوها او امها حونها
من الاوبات الدنيوية وعار الاحدوثة النفسانية فيودعها هنالك بقصد
التخبط والعون الى ان يبلغ وقت تزويجها وتخرجها كما رايته في كنيسة
للمونكاص الراهبات من مدينة اشبيلية صبية في غاية الحسن

والجمال واعتدال القامة وصباحة الوجه لها اربعة عشر عاما او ما يقرب
منها غير لباس الراهبات جسالت عنها وعن سبب مخالفة لباسها
لجميع الراهبات فقلن انها موضعة هنالك بقصد الصون والتحفظ الى
ان تتزوج او دعها ابوها قبل ان تستكمل لبنها وهي ابنة عشرون
شهرا وتولها الراهبات مذاهب ولحرق بعدة مذاهب البرايلية
ولحرفهم ومنهم جنس يسمى الامكالصوص مذاهبهم في الترهب
ان لا يكتسبوا ولا يخزنوا فلسا ولا دينارا ومعيشتهم من الصدقات
التي يزعم النصارى انها صدقة وذلك في النساء البرايليات جنس لهن
في الترهب طريق ضيقة متعبة وهي صناعة تزيد المرأة دخول الكنيسة
المعروف لهذا الجنس يوجه عليها العهود والمواثيق والايمان
انها لم يبق لها غرض في الدنيا ولا شيء من امورها وان لا تفتح عينيها
في احد ممن هو ليس من اهل الكنيسة حتى اذا احب ابوها او امها
رؤيتها تجعل على وجهها برقعا يمنعها من النظر اليهما وهما
في غاية المهنة والتقشف بخلاف غيرهن من اهل المذاهب الاخر
وحتى الشبابيك الموضوعة لهن بينهن وبين الكنيسة لسماع الخبر
جعلت شبابيك ضيقة جدا في موضع مظلم وبخارج الشباك مما يلي
الكنيسة كلاليب ومخاليب ومسامير كثيرة تمنع من القرب الى الشباك
مع ضيق عيونه ليكاد يقرب احد الى الشباك وقد جعل هذا الشباك
صغيرا في موضع مظلم بحيث لا يرين منه ولا يرين وقد طلبوا اهل هذا

الجنس

الجنس بمدينة قرطونة رؤيتنا ورغب الحاكم منا فدومنا اليهن
فوجدناهن على هذه الحالة وهن في غاية التقشف وحين جرى الكلام
بيننا وبينهن واردنا الانصراف قالت واحدة منهن ما معناه سلكنا
الله واياكم مسلك النجاة والله ما عرفنا اين يسار بنا فقلت لها الى
جهنم وبئس المصير وهذا الجنس هو في غاية التقشف والترهب
واما الغير فعليهن ضيق السجن وعدم الخروج والتزويج والتمتع
في الملابس وغير ذلك من احوال الدنيا والابينهن وبين الجنس المضيق
عليهن بون بعيد وهن على مذاهب البرايلية في التقشف
والانقطاع فمن البرايلية من تجد جعل في يدها تلك الخطة سببا
وحيلة على الدنيا وجمعها فان كانت له يد عند المحزن يقبض
من وبر الحبس الالاف زاعما انها لمعيشته ومنهم من جعل في يدها
تلك الخطة سببا للاستراحة من تعب الدنيا ومشقتها وتقبيل الراحة
ومنهم من جعلها في يدها درقة يستتر بها لتقيه وتمنعه من كلام الناس
فلا يقدر احد ان يتكلم في احد من البرايلية بعيب او يلمز بقبيح ولو شاهده
جميعة وهم الضالون المضلون الصادون عن طريق الحق فلقد ضلوا واضلوا
اخلى الله منهم الارض وعمرها بدوام ذكره ولنعد الى ما كنا فيه من ذكر هذا
ولنرجع الى ذكر مدينة لبنارس التي رأينا فيها البرايليات
الراهبات وهي كما قدمنا مدينة متوسطة اثرها اثر الحضارة واهلها
اهل بشاشة ومن بشاشتهم وعوايدهم ان اجتمعوا على

نساء ورجالا واتوا بحالة الطرب وعادتهم ان يرقص منهم رجل وامراة
معين يقوم الرجل يريد الرقص يختار من النساء صغيرة او كبيرة
ويميل لها بشمريرة التي على راسه ويبايع لها فلا يمكنها التخلف اصلا
وجل اهل هذه البلد اناس ذو ملاحة وحراثة ولم تكن دار تجارة ولا
سبب لانها غير معدودة من الحواضر ومن مدينة لينارس هذه
الى دشرة تسمى لمرى كران ابيان وهي دشرة كبيرة واهلها الى
البداوة اميل وبداوتهم شبيهة ببداوة بربر نا اهل الجبال
البحصية وما جاورها ولقد حزجوا القافلتنا يوم ورودنا عليهم وبيد
جماعة من شبابهم المزاهير والدبوب على عادة بربر بلادنا
وغناؤهم مخالف لغنا اهل الحواضر من النصارى ودخلنا هم الدشرة
المذكورة يوم رحيلنا من لينارس وهو يوم انفصالنا عن البلاد المسماة
بالاندلسية ودخلنا ما نشا التي قدمنا ذكرها وهي بلاد خشنة ذات
جبال واحجار ومسالك وعرة وعيش ملتبة واشجار وانهار يابسة لان
هذه البلاد المسماة بما نشا هي بلاد يابسة جدا ومنابتها الشيح
وهي يابسة باعتبار الاندلسية وان كانت قليلة المياه وترابها احمر
ومدائنها متبدية بخلاف الاندلسية ومن دشرة لمرى كران ابيان
ومعنى الهر البرج وحللنا الى دار معدة للنزول قرب قدينة تسمى
شكلانة اذ كانت في سفح جبل منكب عن الطريق وهذه هي عوايدهم
في جميع هذه البلاد الاندلسية وغيرها من سائر بلاد العدوة فبعد

كل مسافتين او ثلاثة مسافات يجعلون فندقا او دارا معدة للنزول
بقصد القيوف والمسافرين فاذا وصل المسافر الى موضع منها ينزله
ويجد هنالك من الطعام ما يشتهيه وما تبلغ اليه مقدرته كل
على قدر وسعه ويجد العلف لدوابه والفراش لنفسه فياكل ويستريح
ويطعم دوابه ان كان تجارا وان كان ليلا فلا يحتاج الا الى الكلام والاستحكام
فيما يجبه ويشتهيه فاذا اراد الخروج من الفندق او الدار المعدة لذلك
فانيه زوجة الموكل بالموضع او ابنته بزقاق يجدها وقد حسبت
ما صيرته عليه من ثمن الطعام والعلف وكراء المسكن والفراش فلا
يمكنه الا اعطاء جميع ما تحسبه عليه من غير مناقشة وصاحب
الفندق او الدار وقد تحمل ذلك بجعل معلوم للكافية فلا يجد احد
من المسافرين في هذه البلاد بما قرب سفرا قريبا كان او بعيدا يبيت
في بلاد من الارض او يقيل حيث ما ادركه المقيل وانما سفرهم في وقت
معلوم قد معروف من كونه اذا ارتحل من الموضع الفلاني يعرف مقيله
في الموضع ومبيته في الموضع الفلاني كذلك في موضع معلوم ولا يحمل
المسافر مدة سفره زادا ولا متيعا من المأكولات ولا يحتاج الا الى احضاره
المال للنفقة وملازمهم في النفقة كثيرة لغلاء الاسعار ايما يجد
الرجل في بلاد اسبانيا التي يريد المعيشة من غير تدقيق اكل ولا
مشرب ويقتصد في معيشته من غير سرف ولا اسراف فلا يقعيه مع
اقتصاده ريال واحد وامثاله من احب التانق في المأكل والمشرب

بنفقته كبيرة وملازمه كثيرة ومع هذه العمارة وكثرة الدراهم
والغرم والمدن التي باسبانيا لا يقدر احد ان يسافر وحده في مدة
مسافات جبل سير مدينة وجميع بلاد ما نشا لما فيها من الخوف
وكثرة اللصوص فلقد كان النصارى الموكلون بنا في طريقنا حيث وصلنا
لهذه البلاد يستعدون ويتاهبون ولا يجبون احدا من اصحابنا ورفقائنا
يتقدم ولا يتاخر مخافة من الافات واذا لقينا ثلاثة اناس او اربعة
نسئلهم عن مرورهم بالعدة القليلة فيقولون من مثل هؤلاء يخاف
لانهم اذا وجدوا عشرة في هذه البلاد الخوفة يفعلون ما يفعله اللصوص
ولا يعرف لهم عين ولا اثر وامّا القلصصون فلم يكن منهم هنا احد
بذكر الا نادراً ولقد ورد علينا حين ابانا من مدينة مادريد
بغزية لصوص كران ابناي رجل من قرية تسمّى فوحرا بينها وبين
الطريق المذكور اميال فرحب وسلم وذكر ان له مع خوان الوخي
حبيب ملك غرناطة محبة كثيرة ومحبة اكيدة وزعم انه كتب
له من مدريد كتابا يلزمه فيه بمرافقتنا في هذا الموضع المخوف
ويخفه على ملازمتنا مدة مسيرنا في هذه البلاد التي يتوقعون
فيها شيئا من ذلك وكان هذا الرجل المذكور معنا بعد من لصوص
هذا الجبل وله قوة وشجاعة ذكر انه لقاكان ينتظر بعث له
طائفة اسبانيا سرية من ثلاثمائة رام يقبضون عليه فاختفى لهم
في ناحية من هذه الجبال فلم يقدروا عليه الا ان رجعوا فغاب الى داره

بفوحرا

بفوحرا وهو الان بداره غير خايف على نفس ولا مال غير انه يريد امانا من
الطاغية يامن به في نفسه ويجعله في يده وفارا وامانا واما هو في خاصة
نفسه ليس عليه خوف من شيء ولقد رايت عزايبه وخيله رائحة غادين
من الارض قرب المدينة نزتع وتسرح ولقد حدث عن نفسه بما عمله
في هذه الجبال من الاعمال في التلصص ولقد اخبر اليوم رجوعا عن
ذلك وقال لي لو كنت متاهبا للسفر لقدمت معك الى مولاي اسماعيل
لطلب منه كتابا احترم به الى سلطان اسبانيا يكتب لي اماننا
تطمئن به نفسي وان قدم من هذه البلاد بعد هذا احد واني
اصاحبه واقدم معه ولما اجب مرافقتنا التي انت لسببها فلسنا له
لاحتياج معك الى مرافقة ورجوعك الى دارك من هنا اوفق وعزمنا
على رد جابه الا المرافقة والمصاحبة فتركناه استعابا لغرضه وللمحبة
التي منابها الى خوان الوخي فرافقنا يوما هو وصاحبه له ورجع
عنا بعد ان الزمناه الرجوع والاياب الى مقره وبهذه الفيافي
المعدة لهذه الرفاق والمسافرين خيل معدة بقصد صفراء المخزن
ورنا فيه الذين يقطعون المسافات العديدة في الساعة الواحدة
وذلك اذا قرب الرفاص من الموضع المذكور ويسمونه بلسانهم البينطة
يخرج له فرسا مسرجا ويلقاه به عند باب البينطة فيها وبيده
كاس من خمر وبيضتان من بيض الدجاج يشرب ذلك ويبدل فرسه
بالفرس التي احضره ويصحب معه وقيل الموضع رجلا اخر راكبا

ايضا حتى اذا قرب من البينطة الاخرى نفخ بالبوق الذي عندهم المعد
للاعلام بما يصل حتى يجد العرس محضرا مع العادة التي يشرب من
خمر وغيره ويناول العرس الذي اتى به الرفيق الذي معه ليرد به لربه
وياخذ فرسا اخر ويصحب معه رجلا ايضا فذلك يجعل في كل مسافتين
او ثلاث فيفعلهم المجاوز الساعية والبلاد القاصية في اليوم الواحد ولقد
كانت ترد علينا من مدينة مدريد ونحن مقيمون بمدينة سارقوسار
على البحر الكبير رسايل الكردينال واصل ديوان اسبانيا الثلاثة ايام
تقرر من ساعة تاريخها فنفقي العجب من ذلك مع ان مسافة ما بينهما
اكثر من ثلاثمائة ميل وكذلك يفعلون في سايربلاد العجم الا ان الرفاض
يحتاج في المسافة الاولى الى خليفة المتوجه من عندهم وانه مرسل
الى البلاد البلانية ليعطيه ما يحتاج اليه من مركوب ومرافق فاذا
اعطاه اول موكل من وكلاء البينطات صار ما يعطيه له بعثابة الكفيل
والزعيم الضامن خذرا من ان يكون صار بامن جعلة فعلها او
شبه ذلك من الامورات التي يحذر منها وتلحق الوكلاء بسببها عقوبة
او تمكنهم في مثلها غرة فلا يحتاج بعد المسافة الاولى الى تعريف ولا
الى بحث ومعلوم عندهم ما يعطى في كراء العرس والرفيق على كل ساعة
زمانية وقد التزم الوكيل الذي على البينطة جميع ذلك واحضاره
بجعل معلوم يقبضه منه الوكيل على شبه ذلك من المكوس
ومحصولات الضاغية بالرفاض يعطى ما يجب عليه في كل مسافة

وصاحب

وصاحب البندق يعطى ما يجب عليه في تخصيصه بذلك للالتزامه
اياه على راس كل سنة واكثر محصولات العجم من المكوس وشبهها
ومن هذه الدار الغريبة لشكالة الى بينطة اخرى معدة للنزول
ايضا تسمى بينطة سان اندريس ينزلها المسافرون على العادة
وبالغرب منها اخرى متصلة ومداشر عامرة وقد ورد علينا
اهل هذه المداشر رجالا ونساء وورد حاكمهم وله بنات غيارى وات
جمال واولاد صغار انس بهم على مسافة ثلاثة اميال وهم الى البداوة
اميل منهم الى الحضارة لبعدهم عن القواعد من المدن الحواضر
ومن هذه البينطة على اربعة اميال موضع فيه واد صغير وبينطة
اخرى معدة للنزول وكنيسة يقصدها النصارى من كل موضع قرية
او مدينة ولهذه الكنيسة بستان عجيب فيه عين ماء عذبة
وهي في ارض مسبخة على قدر مرمى العين وفي هذا البستان يعمر
سوق مرة في السنة في اليوم الاول من شهر [illegible] يقصده اهل
التجارة والسبب من كل اوب ويتشالون عليه من كل حدب
فيعمر في وسط هذه البلاد من غير عمارة بناء خمسة عشر يوما
ويتعرفون عنه فلا يعمر الا بعد سنة في اليوم المعلوم من الشهر نفسه
ويسمونه بلسانهم العربية ومعناها السوق ومن موضع هذا السوق
الى مدينة تسمى المنبر يلية وهي مدينة تدل على حفارة قديمة
واكثر هذه المدن اليوم يسمى قرية لتبديه وخلوه عن معنى المدينة

(٢١)

[illegible] ساقط في مخطوطة مدريد

واثرها وحيث كان النصارى دمرهم الله لاعتناء لهم ببناء الاسوار
واذا اخرب السور او دثر لا يجددونه لم يبق للمدن اسم الا القرى
وارضها ارض فلاحة وحراثة ومياهها قليل جدا الا حيث كان بساتينها
وعمارتها من السواني وبقرب هذه المدينة بقدر ميل مدينة اخرى
تسمى مانسارس واجتنبتها متصلة بجنانات المنبريلية وهي
مدينة متوسطة الا انها اكبر من المنبريلية واكثر منها حضارة ومحين
اشرفنا عليها فينا الناس اعيان من مدينة تسمى الماكثر على
تسعة اميال من مانسارس وهم احصار النصرانيين الحلبي الترجمان
الوارد من قبل طاغية اسبانيا سفيرا ورد وامن مدينتهم المذكورة
ونزلوا بدار رجل طليرية هو ابن عم لهم والطريك عند النصارى
هو الذي فرا علومهم وليس بافرنجي الا ان الطريك ايضا هو بمثابة
القرايلي في عدم التزويج ولباسهم مخالف للباس الفرنجية ولباس
غيرهم من سائر النصارى وهؤلاء الكريكوس هم الذين يجعلون
القيسات ومعناها الصلوات ويجدون في المساجد آلة الموسيقا
ويقرؤون كتب صلواتهم بالحان واصوات منتظمة ومنهم من يختص
بتحسين الصوت وترفيعه وتحسين نغماته فلقد رايت بمدريد عند
الطاغية مثابين خصيين من الحلبة وهما عنده بقصد الغناء
في الصلوات مع الموسيقى بالالحان التي يستحسنونها وهؤلاء القوم
الذين وردوا من المالقة هم من اعيان البلد ولهم هناك وجاهة

ووروده

ووروده كان بعقد الملافات بمسلموا علينا ورحبوا وانقلبوا بنا الى
دار ابن عمهم المذكور وقد اعدوا دارا اخرى لنزول النصارى الذين في الرفقة
معنا وانفقوا على ذلك جملة واجرة من الحال وحين وصلنا المدينة
وجدناها مدينة مليحة وبطرفها قصبة صغيرة حصينة لها سور
مثاقف وابراج ويدور بهذا السور سور اخر اقصر منه ويدور بالجميع
خندق منيع في احسن ما يكون والمدينة بنفسها لا سور لها فدخلنا
دار الكريك المذكور وهو بنا بر حا شديدا وراينا جميع ما عنده
من الصور وما في معناها اذ كان معجبا بها وكثيرا ما تفرج ويرغب
في ان نشاغبه في شرب شيء من الخمر الطيب في شتوة وزعم انه قديم
عنده وله سنون عديدة فقلنا له لا يحل ذلك في ديننا ولا يسوغ
في مثلنا يجعل يشفق من شربنا الماء البارد حربا وبتنا عنده
بعد ان احضر من يغرب اليه من النساء قينات عمه واخوانه حيث
كان اغرب ومن الغد خرج معنا بنو عمه للتشييع الى ان برزوا
خارج المدينة ورجعوا الى ديارهم وبلادهم ومن هذه المدينة
المسماة مانسارس الى مدينة تسمى صورا ومعناها المسلمة
وسبب تسميتها بذلك والله اعلم انها ربما تاخرت عن جيرانها
من المدن بشيء ما في التنصر وفيما بين المدينتين من الكروم
ما لا يحصى ولا بعد اذ جل ذلك اليوم سرنا بين بساتين الكروم
اذ لم يكن في جل هذه النواحي شيء من الاشجار عدى الكروم وذلك

تقرب المسافة بين اهالي هذه النواحي وبين مدريد اكثر من عزمه
لما يستعملونه من الخمور دايما في كل حين من احبائهم وعند اكلهم
واكثر شربهم الخمر فلما تجد من يشرب الماء في جميع هذه البلاد ومع
هذا وكثرة استعمالهم الخمر فلا تجد احدا ثملا ولا يعد عندهم شيئا
اصلا وهذا الخمر الذي يشربونه منهم من يعزجه ومنهم من يشرب منه
شيئا قليلا صرفا ولكثرة استعمالهم اياه وكثرة عمارة مدريد باصلها
وفسادها للسكنى والعمارة والتجارة يباع فيها الخمر باغلى ثمن
ويعطى عليه مكوس بباب المدينة ثلثا قيمته ولا يعبئون بذلك
لعدم استغنائهم في مساكرهم ولاستعمالهم اياه جميعا رجالا ونساء
وصبيانا ذكرانا واناثا عموما وخصوصا رهبانا وقسوسا وشمامسة
وبرابلية وغيرهم بحيث لا يدع احد شربه ولا يستغنى عنه وبلاد
مورا هذه هي مدينة متوسطة الى الصغر اقرب وهم بمثابة اهل
مانسنارس من الحضارة ومثلهم وحين خرجنا من مدينة مورا
بعد مبيتنا بها ليلة وسرنا نحو خمسة عشر ميلا وصلنا الى واد كبير
يسمونه واد انها خوا وهو النهار بعد مدينة طليطلة وهي على
يسار النهار من طريقنا هذه نحو ستة اميال وتقصر المدينة من هذا
الموضع على بعد مرمى العين الذهبي في ربوة من الارض على هذا
الواد المذكور وبهذا الموضع من الوادي الذي مررنا به دار كبيرة للطاغية
ينزلها حين صيده بهذا الوادي وحوزه اذ عن يمين النهار من جانبي

الوادي

الوادي غياض وانجار ملتفة وهي ممنوعة حمية بقصد اصطياد
الطاغية وفيه فلا يقدر احد على الدخول اليها ولا على الاصطياد
بها وحيث كانت هذه الطريق هي المرور عليها في بينة مدريد وقد اشتملت
وغيرها ولم تكن على هذا الوادي قنطرة للعبور جعلوا به خشبا كبيرة
ملصقة بعضها ببعض وربطوا بها حبالا من العدو تيقن واذا وردت
القافلة او الجماعة من الناس او القدمتين او الغليرة ذات الكراريط
يقرب المركب الى شفير الوادي فتلقاها عليه الدابة من غير تعب ولا مشقة
ويجذب المركب انسان واحد من العدوة الاخرى فلا يشعر الانسان
وهو في قدمه وعلى دابته الا وقد عبر النهر وحصل في العدوة الاخرى
بسهولة وعلى ذلك جعل قليل الابال له وهذا الوادي هو بهي
المنظر رحب الفناء فسيح الارجاء عليه من البناءات والقرى
والارحية شيء كثير وعليه من المزارع ما لا يحصى ويعاد بهذا
الوادي السمك الا انه قليل جدا ومن هذا الوادي على مسيرة ستة
اميال قرية تسمى بنقص وهي قرية بداوية لا حضارة بها
واهلها الغالب عليهم البداوة وبها كان مبيتنا يوم مررنا بهذا
الوادي ومنها رحلنا اليوم الذي دخلنا فيه مدينة مدريد اذ بينهما
عشرون ميلا وفيما قبل مدينة مدريد على ستة اميال مدينة كبيرة
تسمى خطافي وهي كبيرة جدا الا انها لما كانت قريبة
من حاضرة مدريد وصارت مدريد في هذا الزمان هي الحاضرة وبها

استمر طواغي اسبانيا الى مدريد فوصلنا الى مدينة خطاب
هذا عند ما انتصف النهار فلقينا بها رجلا من اعيان خدام الخاغية
يسمى كرلوس ذو الفشطيلس ويلقب بالفتح راكبا في عدش الخاغية
نفسه وقد وجهه للملاقات الاهذا الفتح هو المعين عندهم
للقاء الوجود الوارد عليه من ممالك اخرى اسلامية وغيرها وهذا
هي خطة هذا القند لا غير وله عليها من الراتب ثلاثة الاف ريال
في كل سنة وحين لقينا ترجل وسلم نائبا عن عظيمه واركبنا
في العدش الذي اتى به بعد ان رحب والخصر من البشر ما الخصر وسار بنا
فاصد الدار مدريد فحين قربنا منها بفرسيل رأينا خلقا عثيرا برزوا
للملاقات منهم صاحب العدش والمترجل والفارس وغيرهم فوصلنا
الى المدينة واذا هي على ربوة من الارض في منفير واد كبير يخرج من جبال
عثيرة الثلوج هي الفاصلة بين هذه البلاد وبين فشتالة المعروفة
بفشتالة قديما ومدريد هي في فشتالة التي يسمونها فشتالة الجديدة
وهذا الوادي هو كثير المياه في زمن البرد لما يحصل بهذه الجبال المذكورة
من الثلوج ويمر من هذا الوادي ما فشاريس وعليه قنطرتان احداهما
مبنية احسن بناء والاخرى على اخربها السيل وهم الان يجمعون
الاقامة لبنائها وقد بنيت سواريها وجعلوا عليها خشبا وثيقة
يعبر عليها العدش والعزاريك وغيرها وسائر الناس وقد خلنا المدينة
واذا هي مدينة كبيرة جدا مليحة البناء واسعة الفناء مبيحة

الارجاء

الارجاء وبها من الخلق عدد كثير ملقينا من بها من الاسارى وهم
فرحون مسرورون معلنون بلفظ الشهادة والصلاة على النبي صلى الله
عليه وسلم والدعاء بالنصر لسيدنا المنصور بالله تعالى وجيان النصارى
يقولون مثل ما قالوا ولقد مررنا حين دخولنا على دار الخاغية فرأينا
وهو واقف في لحاف ينظر من وراء زجاج مقبل لنا صوب اي والاسارى معنا
على ما هم عليه ومرجنا في ازقة واسعة كلها مفروشة بالحجارة الى ان
وصلنا دارا ذهبي بغرب دار الخاغية وهي دار كبيرة معدة عندهم
لنزول من يرد من بلدان بعيدة من غير جنس النصارى اذ عوائدهم
في ذلك ان ينزلوا عندهم ثلاثة ايام وينظرون لانفسهم دارا يسكنونها
حيث شاءوا يردون بفضة المقام والمسكن فان من عوائد ملوك العجم
ان يبعثوا الى ملوك امثالهم فرارسيل يسعونهم الانبشاد ويبين
يكونون هنالك وما بينهم وبين الملوك فيما يعرض لبعضهم
عند بعض من المخاطبات وغيرها ومن ورد من غير هذه الاجناس
هو ينزل في تلك الدار الى ان ينصرف مثل وفود الترك التي وردت
على اسبانيا فيما قبل منذ اربعين عاما زعموا انها من اسكنبول
والصحيح انها كانت من عند بعض السفهاء الذين يريدون التغلب
على ملوك قسطنطينية وفيما قبل هذا بثلاثة اعوام ورد وفد
من بلاد موسكوبيا وهي بلاد بعيدة في ناحية القطب الشمالي
وردوا على عظيم اسبانيا يخطبون من امه ابنة اخت لها هي

في بلاد لابانيا اراد ملك مسكوبيا تزويجها بحيث لم يرغب اهلها في تزويجه
اياها اسندوا امرها الى خالتها وداعوهم الى اسبانيا وهذا هو سبب
قدوم وفد مسكوبيا الى هذه الخاقنية فيما ذكر وحين دخلنا هذه
الدار وجدناها دارا كبيرة حدا وقد فتحت بالفرش والتعاليق وجميع
الاقامة ووجدنا بها فيما كان يخدمها وهو من خدام الخاقنية الموكلين
بفراشه فادى الينا سلام ملكه بعد ترحيب كثير وافقنا منذ ليلة
اثنين عشر يوما وكان دخولنا لمدينة عشية يوم السبت السابع
من شهر ربيع النبوي وبعد هذا الاثنين عشر يوما الخ ما بحوله متصلا.
كان يرد علينا من قبل الخاقنية الموكل بنا وفيم الدار واعيانا
اخرون صباحا ومساء نائبين عن عظيمهم في السلام ويقولون انه اراد
استراحتكم من تعب الطريق وهو ينتهب لملاقاتكم ويستعد
لدخولكم عليه استعدادا كثيرا وينتاهب تاهبا كبيرا وحين كملت
الاثنين عشر يوما قدم علينا الفندق الموكل بنا يعلمنا بتهيا عظيمه
للملاقات وجدا بمستبعدا عن حال ملامنا نخبره به قبل دخولنا
عليه لكونه لم يتقدم له قبل ملاقات مع احد من اهل ملتنا
اعزها الله تعالى فاخبرناه بسلامنا من بعضنا على بعض وسلامنا
على غير اهل ديننا وانه قول السلام على من اتبع الهدى من غير
زيادة عليها فانصرف عنا مخبرا له بذلك بقضى العجب من السلام
الذي اخبرناه به من كونه لم يعتد ذلك ولم يمكنه الا قبوله حيث

عرف

هـ
علم ٤١١

عرف بصيمنا على ذلك وعزمنا عليه من غير زيادة فانقلب الفند
المذكور وبيده ورقة مكتوب بها صفة الدخول ومن بالباب من المعينين
للقائنا ومن امامهم لتكون على بصيرة في امرهم وقال انه بلغاكم
المشيردوم ومعناه الوكيل عند الباب الملاقين ومعه من الاعيان
كذا وكذا ومعه من الشلاظاظ اهل الوردية كذا وكذا وبالباب
الملاقين كذا وكذا وسيلقاكم عند الباب الملاقين الاعيان من الدوكس
وامثالهم ومن الغد ورد علينا في وقت معلوم بعد ان تهيا عظيمه
للملاقات وقصد بنا اليه بوجدنا اهل المدينة وفد اجتمعوا كلهم
فساء بلم نصل دار الخاقنية الا بعد جهد وعناء لكثرة ما اجتمع من
الخلق بحيث قربنا من الباب لقينا الوكيل المبردوم ومعه من
معه من الاعيان والشلاظاظ فسلم ورحب ودخل بنا الدار وبسمونها
البلاصيو ومعناه المشور بجعلنا نمر بالجماعات من الاعيان
والاكابر فيسلمون ويقف كل عند حده المعلوم الى ان دخلنا قبة
كبيرة لقينا بباب بها كاتب الديوان الكبير وهو رجل كبير اليمين
جدا بلغ منه الكبر الى ان انحنى فلقينا احسن الملاقات ومعه جماعة
من الدوكيس والفنديين ودخل بنا قبة اخرى لها باب من هذه
القبة بوجدنا الخاقنية واقفا على قدميه وقد جعل في عنقه
سلسلة من ذهب وتلك هي عوايد ملوك العجم الاهي عندهم
بمثابة التاج وعن يمينه قبالة من ذهب مرصعة اعذها وصنعها

ايام مقامنا بعد وصولنا يجعل عليها البراءة السلطانية اجلالا وتعظيما
لمرسلها اعزه الله تعالى وعن يمين القبلة وزيره يسمى العقد
اسطابل وهو وزير التي بيده الداخل والخارج والنظر في الدار
وفي جميع امور الطاغية الخاصة به وبعياله وداره وهو من اعيان اهل
الديوان وعن يمين الوزير المذكور زوجة الطاغية ومعها من الخادمات
وبنات الاكابر عدد كثير وعن يسار الطاغية وزراء آخرون محبين
دخلنا عليه رحب وهش وبش ولم يقصر في الترحيب والاكرام وسال
عن سيدنا المنصور بالله تعالى سؤالا كثيرا وحيني ذكره ازال شعريره
من على راسه اجلالا وتكريما فقلنا له خير بحمد الله تعالى وناولناه
الكتاب المبارك السلطاني بعد تقبيله ووضعه على الراس وتناوله
بيده بقبله وجعله على القبلة المعدة له بعد ان رجع ايقاما على
راسه ثم انه بدا يستفهمنا عن احوالنا في الطريق وما لاقيناه من
تعب ومشقة فقلنا له خيرا وجازينا على فعله وعلى فعل خدامه
الذين تلقونا في طريقنا فسر بذلك واعجبه وبعد ان مر بنا الكلام
قال الحمد لله على سلامتكم وسنعيد الكلام فيما اتيتم اليه في وقت
آخر وخرجنا من عنده وخرج معنا من كان معه للتشييع فاعدنا
محل نزولنا وموضع مقامنا والطاغية هذا هو رجل صغير السن
له نحو ثلاثين عاما وهو ابيض اللون قصير القامة وجهه الى الطول
واسع الجبهة كرلوس مشكونده ومعنى مشكونده الثاني ويعنون

به ثانية اسم كارلوس من صلبه واصله من اجلا نصارى بلاد الفلامنك مولدنا
وليس هو من نسل طواغي اسبانيا الذين كانوا حاربوا المسلمين
وتغلبوا على البلاد الاندلسية وفتشتال وغيرها من هذه البلاد
دمر الله جميعهم واخلى منهم الارض وعمرها بدوام ذكره وتوحيده
وذلك ان الطاغية من الطواغي الاول واسمه فرناند ماتلد من هو
المستغلب على غرناطة ومن بقي بانحوازها من المسلمين كان فالهنا
بقاعدة اشبيلية اعادها الله دار اسلام ولما ان مات خلف ولدا
يسمى فرناند باسم والده ويلقب بالهولك ملك بعد والده سنين
قليلة ومات ولم يخلف ولدا ذكرا فملكت بعده زوجته زابيل
وهي ابنة ملك راغون وراغون هي قاعدة من قواعد من هذه
العدوة ودار ملك وافامت في ملكها سنين وكانت تخرج وتدخل
وتركب العرس وتركض وتتصرف تصرف الرجال وفي عهدها وزمانها عثر
بعض رؤساء البحر من جنس اسبانيا على بلاد من الهند الذين بيدهم
اليوم وزينى اهله بوضى وهم بمثابة الدواب ولا عدة لهم وانما
كانت عدتهم العيدان يركبون فيها بحر الزناد ويقاتلون
بها محبين رماهم على تلك الحالة وعرف ما هم عليه من الغرة
والبلادة رجع الى اسبانيا مخبرا الملكة زابيل بذلك فسرت
له ثمانية مراكب واعجبت معه خويلة ومدافع فقصد ذلك الموضع
الذي عينه ونزله فحاربه اهل تلك البلاد فغلب عليهم وملكهم

وفجن على ملكهم ولم يزالوا يملكون في الهند جلدانا كثيرة وافاليم
متسعة يجلبون منها كل سنة ما يغنيهم وبحصول هذه البلاد الهندية
ومنبعتها وكثرة الاموال التي تجلب منها صار هذا الجنس الاسباني
اليوم اكثر النصارى مالا وافرهم مدخولا الا ان التزفي والحقارة غلبت
عليهم بحيث لما تجد احدا من هذا الجنس يتجر او يسافر للبلدان بقصد
التجارة فعادة غيرهم من اجناس النصارى مثل الفلامنك والانجليز
والفرنسيس والجنويز وامثالهم وكذلك هذه الحرف الدنيئة
التي يتداولها السقطة والرعاع واراذل القوم يتأبى عنها هذا
الجنس ويرى لنفسه فضيلة على غيره من الاجناس المسيحيين
واكثر من يستعمل هذه الحرف الدنيئة في بلاد اسبانيا جنس الفرنسيس
وذلك حيث كانت بلادهم ضيقة المعاش والارزاق صاروا يتقلبون
في بلاد اسبانيا بقصد الخدمة وانشاء المال وجمعه في ايام قلايل
يجمع اموالا جمة ومنهم من يرغب عن بلاده ويستوطن بهذه البلاد
وان كانت غالية الاسعار فان مردها كثير وجل هذا الجنس يعد
نفسه من اتباع الخزن او من الجيش ويرجع نفسه عن خدمة الصناعة
او عن السبب والتجارة رجاء ان يعد من الكبار او يورثها لخلفه
ان لم يدركها قبل ان من عوايدهم حسن رعاهم الله ان جميع اهل الصناعات
والحرف والتجارة لا يركب في الحاضرة التي بها الحاشية فرسا واذا
احب احد منهم الكبرة او القرب من الخزن بعد من اتباعه

يترك

يترك هذه الاسباب التي يعير بها من الحرف وجاء ان يلحقها عقبه من
بعده واما هو في خاصة نفسه فلا يدركها ولو سعى فيها ما سعى الا
اذا كان تاجرا فان اموال كثير من التجار الذين لا يرجعون ميزانا ولا يجلسون
في دكان مثل التجار الكبار الذين لهم المتاجر العظيمة والاموال الجسيمة
التي اغنتهم عن البيع والشراء في الحوانيت والاسواق فان هذا يلحق
الكبير مع تركه للتجارة وعدم التفاته اليها اصلا والكبيرة عندهم هو
ان يعمل على قتيبه صليبا ثوبه المدثر به برقم معلوم عندهم وهي
درجة كبيرة لا يدركها الا من له قدم في النصرانية ويعد لنفسه فيها
سبعة اجداد باتفاق من نصارى كل زمان وانهم يعرفون اباه وجده
وسمعوا من غيرهم ومن اخبارهم ان فلانا من ذرية فلان هو نصراني
ابن نصراني الى السابع من اجداده ليس في احد منهم لمز ولا شائبة
لمعة ولا تهمة يهودية او غيرها ممن هو ليس بمسيحي محيني
يوم يعمل الصليب على قتيبه بعد ان يعطي عليه اموالا لاهل الديوان
وبعدهم للعرايفية الذين يعطونه الاذن فيه ايضا ويكون على مذهبهم
وطريقتهم الغالة وهذه العلامة الصليبية لا يلحقها كما قدمنا
الا من لهم عراقة اصل في النصرانية او الذين هم من جنس الاندلس
وكانوا اكابر قومهم وتنصروا الاغراضهم فاعطوا حينئذ تلك العلامة
هي دالة على عراقتهم في الاصالة بعد اسلامهم وعلامة على كبيرتهم
في هذا الدين الفاسد والعياذ بالله ونرجع الى ذكر التعريف بها

بهذا الطاغية ونذكر سلفه ومن اين حصل له ملك اسبانيا وغيرها
بلاد ابلانقص وسائر عمالته التي تحت ولايته هو اخزاه الله
قارلوص ع منكوند بن جلب قوارلب بن جلب قريسير وابن
جلب منكوند بن قرلوص كينك بن جلب الموص هذا هو فند عظيم
من اهل بلانقص له بها ذكر وحيث وولاية وحين توفي جارنانه
كالهوك القاطن بالشبيلية كما قدمنا ذكره ولم يخلف ولدا
ذكرا يلي ملك ابناء جنسه من بعده وهلكت بعده زوجته زابيل
وكان لزابيل هذه ابنة تسمى قوانا زوجتها زابيل من فند
بلانقص المسمى جلب الموص ومعنى الموص عندهم الشاب
الحسن اذا كان يغرب به المثل عندهم في مصر لحسنه وجماله
وغار بسبب ذلك تغلبا عليه الموص ولما ماتت الملكة زابيل
وكانت ابنتها من الملك فرناند متزوجة في بلانقص بعثوا
اليها الترث ملك سلفها فقدمت بعلها جلب الموص ولها منه
ولد صغير يسمى قرلوص كينك الخامس ويعنون به خامس اسم
قرلوص باعتبار من تقدم من سلفه يسمى بهذا الاسم والاجمع
اول ملوك اسبانيا من هذا النسل الخبيث اخلى الله الارض منه
وباعتبار اوليته يلقب جيد جيدة باشكوند الذي معناه الثاني
فملكت ابنة فرناند ملك اسبانية مع بعلها ونشأ ولدها
قرلوص كينك هذا داهية طاغية من طواغيت الكفرة دمرهم الله

ذا باس وشر وردهاء وخبث لم يوطن نفسه منذ نشا وترعرع
وكبر وبلغ عن داعة ولا راحة الى ان ملك وحكم فتقدم الى تمهيد
البلدان وتدويخها في جميع اقطار بلاد الكفرة المسيحية دمرهم الله
وسافر وحرك وساق الجيوش والمحال برا وبحرا فلقد حسبوا سعراته
الجزية فكانت تنيف على عشرين مرة وهو الذي تقدم الى الجزائر
بعمارة كثيرة من الشفن والاغربة تنيف على ثلاثمائة مركب
وفد حمل معه في مراكبه الات البناء واقامته من جير واحجار
وجعلة وعملة وارسى عليها ليلا فلم يرعهم حين اصبح الحال
الا وبرج مطل عليهم في غاية التوثيق والتحصين وقد نصب
عليه المدافع والانقاض وصار يهد بذلك جدرانهم ويخرب حيطانهم
ودبارهم واسوارهم وهم في غاية الضيق والحصنة وقد اشرف على
اخذهم فابى الله سبحانه الا نصر دينه القويم ليقصره على الدين
قاله. بهيجان البحر وتلاطم امواجه بغرق جميع مراكبه التي قدم بها
فلم ينج الطاغية الا في سبعة مراكب بما حملت من القوم وفاسد في البحر
شيء بعضها لك ذكروا انه فلع نواجه عن راسه فرمى به الى البحر
وقال من احب ان يلبس التاج فليقدم الى الجزائر باخذها واجلت
هو وحملته المراكب السبعة التي اجلت وقرلوص كينك هذا
هو حاصر تونس ايضا في عهده بل في سفرته هذه التي حاصر
فيها الجزائر وفيها ملك الحلق المعروف عندهم بالمرسى وبقيت على

حالها بيد النصارى دمرهم الله ما ينيف على الخمسين سنة فيما
يقال الى ان ورد اليها جيش من ملك القسطنطينية العظمى
وقدم معهم السلطان المرحوم بفضل الله الخ اكرمه الله تعالى بتلك
الغزوة العظيمة بوادي الغزازن مولاي عبد الملك بن الملك مولاي
محمد الشيخ رحمه الله فما عرف من خبره ولا مكانه وبقي
الجيش الخ ورد معه من القسطنول تقدم الى المغرب لحرب ولد
اخيه السلطان بعد والده مولاي محمد بن عبد الله رحمهم الله
والبرج الخ بناء على الجزاير هو المبرج المعروف اليوم
ببرج مولاي حسن وهو باق الى الان في غاية الاتقان والبناء ومشرف
على المدينة قريب منها على قدر رمية مدفع وهو عن يمين
الخارج من باب عزون وقد دوخ في عهده افكار من بلاد
الاندلسية وغيرها من بلاد فرانسا والمانيا وبلنسية وغيرها
وهو الذي قد مناذكره اخا حارب ملك الفرنسيس واسره واتى به
الى مدريد واطلقه بعد ذلك بعداء وكان من خبر هذا الطاغية
انه تملك جميع هذه النواحي من بلاد العدوة الى ان ملك
لامانية وكبر وكان له ولد يسمى جليب سقوند ومعناه الثاني
من هذا الاسم باعتبار جده الفند القادم من بلاد نفس ولاه ملك
اسبانيا وبلاد نفس وميلان ولكزبوس اخ يسمى فرناند ولاه
لامانيا ولقبه بالانبراد وروم من نسله هذا الخبيث الموجود اليوم

اهلك

اهلكه الله واخلى منه الارض وحين ولد ولدا واخاه تزهب ودخل
فنيطة البرابلية وصار من جملتهم وواحدا منهم زعم انه تزهد
وترهب بمدينة تسمى بلاصنيصيا من عمالة فشتالة على
اربعة وخمسين ميلا من مدينة مدريد وزوجته كانت قبل
ترهبت زابيل ابنة ملك البرتغال اخت صاحبنا سبستيان الخارج الى برنا
صحبة مستصرخه ولد مولاي عبد الله ولقد ان ملك جليب
سقوند هذا كان طاغية من اخبث اهل زمانه وحرى ايضا
الى البلداى وحاصر قاعدة من قواعد مدن الفرنسيس ونصب
عليها المدافع والانفاض رجاء ان يهدها فزعموا ان كنيسة
بالمدينة التي كان حاصرها تنسب الى راهب يسمى لورينصو
الزيال حالت بين المدينة وبين رماية المدافع ولم يقنوا المدينة
منيعا حين قال حصارى عليها ولم يكن بد من هذه الكنيسة
المانعة له من ان يصيب المدينة فلا ان يبني كنيسة اخرى
اعظم منها وينسبها الى اسم لورينصو هذا فنصب المدافع قبالة
الكنيسة وهدها واصاب منها المدينة وحين رجع بنى الكنيسة
التي نقرعلى نعته بناءها وهي المسماة عندهم بالاسكريال
هذا هو في سفح الجبل القريب من مدريد وهو من البناءات الهائلة
وسنذكر وصفه في محله ان شاء الله وجليب سقوند هذا
فيما زعموا انه كان اجتمع بخاله سابا ستيانى طاغية البرتغال

الى خرج الى بلاد الغرب في عهد السلطان مولاي عبد الملك بن
السلطان مولاي محمد الشيخ هجة مستصرخه ولمولاي عبد الله
وكان قلب هذا لما ان سمع بخبر خروج خاله الى بر المسلمين
تقدم اليه وتكلم معه في ذلك فاشار عليه بالجلوس وان لا يورط
نفسه في بلاد الغرب ويبعد عنها ما امكن ولا يجعل نفسه على عرضته
لعدم معرفته بالبلاد وللخروج عن وطنه الى وطن اخر ليس هو
له وان لا قدرة له على مقاومة المسلمين اذ ذاك لوجود الملك
بالمغرب وزعموا ان المستصرخ كان يستظهر له ببرابل من
بعض قبايل الغرب وانهم من حيزه وحزبه فابى مع ذلك
لعاغية البرتغال الا نفاديا على رايه ولم ينصت لنصيحة ابن اخته
ولا الى قوله فقدر الله تعالى للمسلمين في خروجه ذلك غزوة عظيمة
لم يعهد مثلها منذ زمن كثير وفي يوم هذه الغزوة المباركة
توفي السلطان عبد الملك بعرض كان لزمه في طريقه حين فعلوا
حارقا الى النصارى حين سمع بخروجهم والنصارى يذكرون شجاعته وقوته
ويقولون انه كان يقاتل بسيفه مع مرضه الى ان غلبه المرض ومنع
من القوة الحاملة له على القتال فمات رحمه الله وفي ذلك اليوم مات
ولداخيه محمد بن عبد الله قتيلا وقتل سابا ستيان ومات جميع من كان
معه من النصارى ولم يفلت منهم الا النزر اليسير الذي لا يعد لتزوره
وقلته وكان عدد النصارى على ما هو معروف عندنا ثمانين الفا والنصارى
يزعمون

يزعمون ان مبلغ الجيش الذي كان مع سابا ستيان في خروجه ذلك
ثمانية عشر الفا بين جنس البرتغال اثنا عشر الفا ومن الانجليز
ثلاثة الاف اتوا مدد الصلح ومعاهدة كانت بينه وبينهم ومن
اسبنيول ثلاثة الاف امدادا بها ابن اخته فليب سيكوندو الصحيح
ما هو مقرر عند المسلمين من العدد المذكور وبسبب عدم قبول
لعاغية البرتغال نصيحة ابن اخته وتوريطه نفسه في بلاد الغرب
ينسبونه الى الحمق ويلمزونه بخفة العقل وتلك الغزوة المباركة
هي سبب تضعيف الجنس البرتغالي الى اليوم حمى الله وحبس
قتل سابا ستيان ووقع في جنس البرتغال ما وقع لم يكن لعاغيتهم
ولد يلي الملك من بعده وكان له فيما يزعمون اخوان احدهما
غرد فيال والاخر ولي بعده اياما قلايل ومات من غير عقب فحين
انقطع نسل ملوكهم بموت هذين ورث قلب سيكوندو ملك البرتغال
من جهة امه زابيل على طريقة قوانينهم ومذاهبهم في وراثة
الملك للمراة اذا لم يكن ذكر وفي زمن قليب سيكوندو هذا ثار
من بقي من جنس الاندلس بعد تغلب النصارى عليهم بغرناطة
واحوازها اذ كانوا سمعوا بورود مراكب من الجزاير التي اتى بها حبيب
رايس ونزل بجوار المرية فظنا منهم انه يمنعهم فحمل من قدر عليه
في مراكبه من اهل المرية وما والاها وغير البلاد فجهز الثوار
من الاندلس حينيذ عن مقاومة النصارى فاوقعوا فيهم الصيحة

وتنصّر من تنصّر منهم رغما بعد هرب من هرب وبقوا على ذلك نحوا
من اربعين سنة الى زمن مليب كريسير ولد مليب مقوندوهم على
حالهم من التنصر والتغلب عليهم فزعموا انّ ملك الترف كتب حينئذ
كتابا الى وزيره مليب كريسير يطلب منه ان يتسبب في اخراج من
بهذه العدوة من بقايا الجنس الذي غلب عليه ويتخذ عندها بذلك
يدا وصنعة باحتيال الوزير بان اشار على مخدومه باخراج البقايا
من الاندلس الذين بينهم وبين دينهم عهد قليل وما زالوا الى الان
جلهم في قيد الحياة وعددهم هو اكثر من عدد النصارى ولانا من ثورتهم
مرة اخرى مع الاولى ان يحملوا من هذه العدوة وتحسم مادتهم ويعبر
بهم البحر ليتعرفوا في البلاد البربرية وبقاؤهم في بلادهم التي ربوا فيها
محذور فقبل الطاغية من وزيره ما اشار به عليه وامر بجمعهم وعبورهم
البحر الامن كان تنصر بغرضه وهم اكثر عددا ممن تنصر رغما واحتمى
تحت احد وامتنع باحد ولم يعلم به وعلى كل حال
فحيث كانوا كثيرين لم يكن الاستقصى في تفتيشهم في جميع العدوة
لاختلاطهم ونسيانهم الاسلام وجل الخارجين في ذلك العدد من
العدوة اهل غرناطة واحوازها من الشاميين وكانوا عددا كثيرا
والنصارى بسبب اشارة الوزير على مخدومه باخراج من اخرج
بعد تنصرهم ودخولهم دين النصرانية بهذا العدد يلزمون الوزير
باليهودية لعدم نصحهم لدينهم باخراج هذا العدد بعد ان حسبوا

نصارى

نصارى ولعز بعض النصارى باليهودية كثير وبسبب ذلك لهم
بمدريد ديوان فيه من علمائهم عدد كثير وكلهم من ذوي السن
الكثيرة يسمعون ديوانهم الانكشيون يبحثون عمن فيه لمز من
يهودية ولو باد ن ادنى سبب فيقبضون عليه ويعملونه في السجن
بعد ان ياخذوا ماله وجميع امتعته وذخائره فيقتسمونها بينهم
من حينه ويتركونه في السجن سنة ويسئلونه حينئذ عقائده ومعلوماته
فيه فاذا انكر يقولون له علامة صدقك ان تخبرنا بمن وبشيء بك او التهمة
فيعدلهم واحدا واحدا الى الثالث فان كان الواشي الخ وشى به
احد الثلاثة الذين سماهم ويقول ان فلانا كان بيني وبينه عداوة
في زمن كذا من اجل كذا وصدق فيه ظنه وتوهمه يجد بيده
حجة للخصام والذب عن نفسه فيطول خصامه مع هذا الديوان
الى ان ينتاسى ما نسب له ويريد مع ذلك خلاص نفسه فقف
هنالك تخرج وان ثبت عليه ما اتهم به او اقر على نفسه يلزمونه
الخروج عن دين اليهودية والدخول في دين النصرانية فان هو رجع
عنها ودخل دين النصرانية يخرجونه ويطوفونه ويعرفون به في الاسواق
ويجعلون له على قفيه صليبا اصفر يكون ذاك اللون هو اشارة
كونه من اليهود وعلامة على تنصره فيبقى بذلك الصليب
ستة اشهر ويزيله فيصير حينئذ من جملة النصارى وان هو
اقر على نفسه باليهودية او ثبتت عليه باشهاد ولم يرجع عن

اعتقاد ٥ يحرفونه بالنار من غير قبول شفاعة فيه وذلك هو السبب
في عدم دخول اليهود ديارنا بلاد اسبانيا والبرتغال وهذا الديوان
المذكور هو المعين للبحث عن هذه المسئلة واشباهها من يطعن
في دينهم او يشهون عليه رائحة شيء مما يعيبه ولا يقدر احد على
الطعن فيهم او يلزمهم بباطل او شعوذة يجدون عليه سبيلا
وللوثوب عليه ظلما ولا يقدر احد على فكاك احد من ايديهم
ولو كان الملك بنفسه واذا المز احد بشيء من ذلك ودخل تحت
جناح الملك محترما به لا يقدر الملك على احترامه ولا على منعه
منهم وحتى اذا كان وزيرا من وزرائه او من خدامه او فواد ٥ وشموا
عليه رائحة من ذلك يقبضون عليه اينما وجدوه سواء مع الملك
او في كنيسة او في غيرها ولقد اتهموا اليام مقامنا بعد ريد احد
خواص الطاغية ووزرائه باليهودية فقبضوا عليه وسجنوه بقلعلة
وهو باق الى الان وكذلك ايضا اتهموا رجلا اخر وهو نحن بمدريد كان
فيما للطاغية على محصولاته فهو ثبوا عليه وعلى زوجته
واولاد ٥ وجميع عياله وحشمه وسجنوا جميعهم واخذوا ماله
وجميع ما احتوت عليه دار ٥ من امتعته وهم الان في السجن وكان
له مال كثير ومن اهل هذا الديوان رجل من عند البابا الذي برومه
اخزاه الله بات بقصد النيابة عنه في هذا وما يشبهه ويسمونه
في لسانهم النونسيو والمتهمون باليهودية في هذا الاجناس

كثيرون

كثيرون واكثرهم من جنس البرتغال وجلهم كان من اليهود سكان
هذه البلاد على عهد الاندلس بعضهم وفد منهم بالخارا عند
التغلب على المسلمين النواحية بلاد البرتغال واختفوا بالنصرانية
هناك وبالبلاد البرتغالية منهم فيما يقال عدد كثير اكثر منهم
في هذا الجنس الاسباني وحين مات قليب كرسيروا المتقدم الذكر
ان في عهده خرج من بقي بهذه البلاد من بقايا الجنس الاندلسي وليس
بعد قليب كواهر ومعنا الرابع من اسم قليب وكان داهية طاغية
من كواغيت الكفرة قصمهم الله ولعهده كان ثار جنس البرتغال
ودعوا الى الملك عليهم رجلا كان يدعى الدوق برغانصا

هذا

وخلص حينئذ ملك البرتغال اليهم وكان لقليب كواهر طاغية
اسبانيا اولاد ٥ لانهم لم يرثوا الملك بعنوانيتهم كانهم اولاد
زنى وله زوجة هي ابنة عم الانبر الهور من المانيا كان جلبها
بقصد ولد له اراد تزويجه بعض قريب من وصولها مدة يدمات ولد ٥
الذي اراد تزويجه ثم ماتت زوجته هو حين بلغت خطبها لنفسه
وتزوجها فولدت له ابنه كرلوس سكوند هذا الطاغية الملك
اليوم وحين مات قليب كواهر ونزى ولد ٥ صغيرا ملكت
امه وكان من خير اولاد ٥ الاخرين الذين ليس لهم ميراث في الملك
ان تزهب جلهم ومنهم الراهب بعقب مالقة ويسمونه بلسانهم

جوان وسطريا السويبسب ومعناه الميت وكان من اولاده اخسر
يسمى كوان اوسطريا برزونجم وظهر عندهم في الشجاعة والراي والدهاء
وكان يلي الحروب ويتقدم الى الشرور والفتن ويعين المحال مدة
تملك زوجة والده وفي حال صغر اخيه لابيه وحبث ظهر وبرز
لم يدع لاحد قولا ولا رايا وصار يحدث لهم احكاما ويجعل لهم معالا
لم يكونوا يعرفونها فيما تقدم وكان يضرب على يد اهل الديوان
وعلى يد الملكة زوجة والده وكان يقول انما اتصرف لاخي الصغير
كبر وانما انا احفظ امره فهو مني اهل الديوان والمملكة
توهما كبيرا لم يشكوا مع ذلك انه يريد الملك ويدعي لنفسه
وكان الملكة رجل يسمى الدويزي اختص بالتصرف لها فانكر
عليه ذلك وعليها وقبض عليه وسجنه في برج متمنع في اعلى ربوة
من الارض مطل على قرية تسمى حوبغرا بينها وبين طليطلة
على طريق الآتي منها الى الاندلسية ثمانية عشر ميلا وهذا البرج
هو في غاية التمنيع والتحصن من عهد المسلمين ولعلو هذا البرج
يشرف على بلاد كثيرة ومداشر وقرى من عمالة طليطلة ولهذا
البرج منوران شاهقان وفي داخله كنيسة كبيرة يعمرها عدد قليل
من العرايلية ولقد دخلت هذا البرج فرايت له اثرا في توثيق البناء
والتحصن ما يدل على اعتناء صانعيه لذلك العهد رحمهم الله
وحبس سجن الدويزي بهذا الموضع المذكور امر ان لا يخرج منه ابدا

وصار

وصار ينظر في اهل الديوان ويحاكمهم عليه فجعل يتطلع احكامهم وينظر
مشوراهم وآراءهم وما يعزمون عليه فيستجيد ما يراه لا يفاويرد
ما يراه مريبا وينقص للقوم من مراتبهم وارزاقهم ويقول لهم لم يستحق
هذا ان ياخذ هذا وعلى هذا يتاول جميع هذا الى ان انكر نفسها
ما كانت تصرفه في ضروريا تها الى ان بلغ اخوه اربعة عشر سنة فاخذه
يوما ومضى به الى مملكة راغون والبسه التاج واتى به الى مدريد
وجعل يتصرف له نائبا عنه بمثابة الخديم وما زال يغلب على امر
اخيه الى ان نفاه من مدريد الى مدينة طليطلة واستقرت
هناك عاما واحدا ونصف عام ثم مات كوان اوسطريا فرجعت
الى مقرها واخرج الدويزي المسجون وتوجه الى بلاد من بلاد الهند
وهو اليوم بان بها هذا العهد له هناك ولاية كبيرة وعبر محروص
سكن فيها هذا امع الديوان وتزوج ابنة عظيم الفرنسيس وماتت
عنه من غير عقب فتزوج بعدها ابنة خالته اخت امه وهب ابنة
عم الاخير الحور الذي بالمانيا ولتزويجه مع الان سنة والى الان لم يولد
له ولم يستقر الى الموضع من المواضع ولا حب محلة ولا برز الى حرب
وهو من الحضارة بمكان لا يركب فرسا ولا غيرة وانما يركب دابها في كدش
مع زوجته في غالب الايام وله خروج الى متعبداته في كدشه ويقعد
الكنايس دايما ويتعبد بجميع متعبداتهم وحين انفصلت عنه
يوم ملافاتنا معه وناولنا الكتاب السلطاني دفعه الى النصراني الحلبي

هنا بياض بسير

المترجم لينرجمه ويجمعه جلساعجم الكتاب ورءى ماجيه وما اشار به
عليه امير المومنين ايده الله من اعطاء خمسة الاف كتاب وخمسمائة
اسير وتغلت عليه الوكاة العلوية ولم يدران يتلفت هذه الاشارة وعرف
انها عزمة من الملك نصره الله ولم يمكنه الاضطراب لما اشرب في قلبه
وقلب اهل ديوانه من حيث هذه الإمامة العلوية وعلو همتها ابقاها
الله بعنه ورفعت المشورة عنه في ذلك مع اهل ديوانه ممن اوان الاحلبة
الى ما دعاهم اليه المولى الامام والاستئذان لاجرى المطاع اعزه الله تعلى
اولهم واوقفهم وتشاوروا في ذلك اياما عديدة وكانت لنا معه ملاقات
بقصد الربية حين يدعونا اليها وبعد تدوينهم في الامر اسلمانيين
وزعمهم صرف الكتب الاسلامية. فيما يذكر بلاد اسبانيا فدعوا الكلام
معنا في ذلك نائب الديوان الكبير والكردينال الذي هو راس دينهم وهو
خليفة ايسابا الذي برومة واليه ينتهي امر دينهم وديوانهم وحيث المولى
الامام ادامه الله وايده جعل لهم في كتابه فسحة ان عدموا وجود الكتب
وتعذر حالها يجعلون دونه كمال الف اسير من المسلمين وحاولوا تنزيل
بعض الالف فلم يجدوا له مجالا الا المساعفة بالامتثال لحين قبل منهم
المولى الإمام المنصور نصره الله ذلك اشتغلوا بالبحث عن الاسارى وجمعهم
وكان الطاغية في خلال ذلك المدة التي كان يوجهون الى الاقاق بقصد
جمع المسلمين يتعاهدنا ويبحث عن احوالنا ويامر بخروجنا الى متنزهاته
ومنتزهاته وبدخولنا الى داره ورؤية ما فيها من المساكن والبيوت

والبساتين

والبساتين يريد تانيسنا بذلك ولم يدع بعد بيده دار كبيرة من اعيان
خدامه وخاصته الا ارانا اها وارانا ما لهم من البساتين والمتنزهات
وحين للقاء يظهر بشرا وسرورا برؤيتنا ولا يقصر في الاكرام والاعتذار
لتاخير هذه مقامنا عنده وبمدينة مدريد من المتنزهات
عدد كثير وان للطاغية بها دارا كبيرة يسمونها الرصيرص دار ثقافة
في الحسب مشتملة على بستان بديع الشكل عناية في حسن
جداوله وانهاره وبوسط هذا البستان واد كبير مبني الجوانب احسن
بناء وبجانبي الوادي قباب مبنية احسن بناء للاستظلال زمن
الصيف وبه زوارق ومراكب يركبها الطاغية في منتزهه ذلك وهذا
الواد فيه الجليد في زمن البرد حتى يمر عليه الانسان فيجد النصارى
يمرون على الجليد بصنعة غير ان اكثرهم يمر على الجليد ولهم
في ذلك خبرة من يكون من جنس البلامنك والنجليز وذلك حيث
كانت بلادهم في ناحية الشمال يكثر فيها الثلج والجليد في جميع
المواضع لاسيما الاودية فقد زعموا ان نساء البلامنك يمرون على
الجليد بان يجعلن في اقدامهن صفائح من حديد ويقصدن بلادا بعيدة
صيحة العصار بقصد السبب والبيع والشراء ومن العساير يرجعن الى
مقرهن فقد رايت البعض من النصارى يمرون على الجليد بهذا
الوادي بان يقفوا على رجل واحدة ويرفعون رجلهم الاخرى ويقيمون
نفسهم مستقيمين بحيث لا يميل شقهم الى احد الجانبين فيمرون

كالبرق وهذا الوادي يدخله في زمن الجليد كثير من الناس بقصد الرؤية
والتنزه فيجد به من النصارى والاكداش المتفوقة بالنساء والرجال
ما يضيق بهم البستان المذكور فاذا كان زمن الصيف ووقت سكنى
الطاغية به لا يدخله الا من يكون معتادا الدخول وفي هذا البستان
سارية من رخام عريضة عليها صورة فرس كبير من نحاس احمر والفرس
واقف على قدميه الاخيرين وعليه سرج من نحاس وقد ركبت عليه
صورة والدة الطاغية جليبة كوارلحو من نحاس ايضا وهو راكب على
فرس وبيده عصى هي من عوائدهم يحسبونها في يدهم ويسمونها
البامطون زعموا انه في زمن هذا الخيل يأتون بالفرس الانثى التي
يريدون نتاجها ويقفونها امام صورة الفرس ويرعبون في ذلك الفرس حركات
يسمع لها من ذلك الفرس صرير وتصويت مثل تحنحم الفرس وينزون
حينئذ فلا يرتضونه ويختارونه لكي تنتج الفرس على شكل تلك
الصورة وكذلك رأينا مثل ذلك ايضا في دار اخرى للطاغية خارج المدينة
والدار هي في بستان على الوادي التي يفترق المدينة على هيئة الاول
وعليه ايضا صورة والدة جليبة كوار لحو وله من البساتين والمتنزهات ما
خارج مدينة مدريد مواضع كثيرة مشتملة على فنص وعيد لا يقدر احد
على الاصطياد بها ولو كان من كان فلقد وجه لنا يوما مع الفوندا
الموكل بنا وقد امر باخراجنا الى موضع الاصطياد والاذن في الصيد وهو
على ستة اميال من مدينة مدريد وبهذا الموضع دار كبيرة يسمونها

البرد

البرد كان بناها والد ٦ وهي دار كبيرة مشرفة على وادي مارستاريس
العامر بمدريد وبهذا المصيد المذكور من الوحوش كالابل والخنزير
والغنيس عدد كثير فلا سبيل لاحد ان يصطاد جميع ما احترمه الطاغية
وهو محمي بقصد ٦ ولا يأذن هو فيه لاحد من خاصته وزعموا ان اذنه لنا
في ذلك خصوصية لم يسمح بها قبل لاحد وذكروا ان البشدور البرنسيس
طلب ذلك منه هو وباشدور المانيا فلم يأذن لهما فيه وبهذا المصيد
ايضا نوع من الذياب اكبر من ذياب بلادنا وهو ذيب كبير اصفر
اللون له فتك وقوة ولقد حاولنا رؤيته حين مصيدنا هناك فلم نره
ولما ان خرج الطاغية يوما الى الصيد قتل ذيبا منها واحضره معه الى
داره وحين وصل داره وجه به الينا لنعاينه لاعرف ان ذلك النوع
ليس في بلادنا ويسمون ذلك الجنس من الذياب اللوبوا والجنس
الصغير الذي هو في بلادنا يسمونه الميدا ويصفون الجنس الكبير منه
بالقوة والفتك ولعل هذا الجنس هو الذي يجدثون عنه انه بارض مصر
وهو بمقدار النمر او يقرب منه وبهذه المدينة اعني مدريد وان كانت
دار سكنى بعض ملوك هذه الطاغية فانها لم تكن على ما هي عليه اليوم
من الحضارة والكبر واتساع الازقة وانفساحها وكانت دار لهواغيهم
قبل والد ٦ وجد ٦ مدينة بلياريس وهي على ثلاثة ايام من مدينة
مدريد وحيث استقر بها جد ٦ زادت في العمران والبناء وكثرت الدور
بكثرة السكان والعمار فان جل اعيان نصارى اسبانيا يسكنون بها

مع الطاعية ومن بيدى بلاد او مدينة يخلب فيها على يدى من يقوم
مقامه واسواق هذى المدينة كثيرة منفسحة الارجاء عامرة باهل
البيع والشراء والتجارات واهل الحرف والصنايع رجالا ونساء وهذى
السوق يقصدها جميع اهل القرى والمداشر التى تقرب من مدينة قفصة
حوزها من القرى عدد كثير واهل هذى القرى يجلبون للمدينة جميع
ما يباع بها من انواع الاطعمة والماكولات والفواكه حتى ان الخبز
لا يجعل بمدينة الا القليل منه وجل ما يوكل منه بمدينة يات من
القرى التى بخارجها يجلبه النساء ياتين به راكبات على الدواب
ويقفن بالاسواق لبيعه على ظهور الدواب والبعض منهن يقصدنا
الديار بتبليغهن اليها الخبز على قدر ما تستخفه الدار لان من عادة
النصارى ان لا يخبز احد منهم بداره وجميع مئونته انما هى على
السوق من كل شئ، وبالسوق عدة حوانيت لطبخ الطعام وصنعه
للغرباء والخيوف والمسافرين الذين ليس لهم موضع معهود يدخل
الرجل الحانوت ويتحكم على المراة التى بها ويطلب لها من الطعام
ما يشتهيه لحما او دجاجا او حوتا او غير مما يجبه وتطلبه بثمنه
فياكل ويشرب ويدفع للمراة ما يجب عليه فى ذلك وتجد بهذا السوق
من اللحوم البرية والوحشية والصيد ما لا عدة له وهى مبتة بغير
ذكاة والبعض منها بالحياة لمن يريد ان يجمع الكم لاكلهم اياها وكذلك
وكذلك ايضا تجد بهذى السوق من الفواكه الرطبة والبابسة ما لا حد

له

له فان التفاح والعنب والكمثرى يباع بهذى السوق السنة كلها
الى ان تدخل عليه الفاكهة الاخرى من العام المقبل وجلب هذى
الفواكه الرطبة جلة من جبال غرناطة والزنداكا وان كانت مدينة
بعيدة عن هذى البلاد المذكورة فان غلاء السعر بها يجلب لها جميع
الاشياء من سائر الاقطار وكذلك ايضا تجد بهذى السوق من الحوت
البحرى الطرى الكثير يات به من البحر على مسيرة سبعة ايام
من بلاد القنا ومن ناحية بلاد البرتغال وبوسط هذى السوق صوق
كبير مربعة وبها حوانيت كبار وعلى الحوانيت من البيوت والغرف
والمساكين ست طبقات وهى معمورة بالسكان من اهل هذى
الاسواق وغيرهم فقد زعموا ان بهذى البلاطة من السكان اربعة
عشر الفا متزوج وبهذى السوق من انواع الحرف والصنايع والتجار
رجالا ونساء عدد كثير ويسمون هذا الموضع البلاطة ميطور ومعناه
السوق الكبيرة وبوسطه رحبته من النساء لبيع الخضر والفواكه
والحوت واللحم على اختلاف انواعه شئ كثير وبهذى البلاطة يعملون
اعيادهم ومواسمهم كعيد الشيران وغيره فان من عوايدهم اذا كان
شهر مايو فى العاشر منه او فى النصف يختارون ثيرانا ضخمة كالاسمنا ويات
بهم الى تلك البلاطة ويزينونها بانواع الفرش من الحرير والديباج
ويجلسون فى السطوح المطلة على البلاطة ويطلقون الثيران فى وسط
البلاطة واحدا واحدا ويدخل اليهم من يدعى الشجاعة ويجب

اشعارها راكبا على فرسه ليقاتل الثور بالسيف فمنهم من يموت
ومنهم من يقتل وموضع الطاغية في تلك البلاصة معلوم ليحضر ذلك
هو وزوجته وجميع حشمه والناس على اختلاف اغراضهم
في الطيفان فان قراءها في ذلك اليوم وحده او في يوم عيد مثله يعطى
في موضع واحد مثل ما يعطى في السنة كلها ولقد حضرت هنالك
عيدا جعلوه في هذه البلاصة نسبوه الى راهب من رهبانهم يسمونه
سان فوار زعموا انه كان من جنس البرابلية وحسنت حالته
بما يعتقدونه من دينهم وراوا له بما يخيل لهم الشيطان امورا
تخييلية يسمونها الميكا فروض ومعناها البراهين وله الان نحو
من مائة سنة وفي هذه السنة زعموا انه ثبت عند البابا امره
واذن في تطويقه ليراه الناس ويعرفونه. فجعلوا له هذا اليوم بعد
ان احتفلوا وزينوا كنيسة بانواع الحرير والديباج والبسوا صورته
حلالا باخرة مرصعة بالدر والياقوت وزينوا جميع الازقة من كنيسته
الى البلاصة وزينوا البلاصة ايضا بانواع الزينة وعلقوا بها من
اليواقيت والجواهر النفيسة والعلبيان الذهبية المرصعة بالاقيمة
له واحتفل لذلك الطاغية احتفالا كثيرا واعد لنا مجلسا مقابلا
لمجلسه الذي هو معد له وجعل به من انواع الزينة مثل ما عمله
لموضعه وبعث الينا يستدعينا لرؤية ذلك وقصدنا فانبعثنا وجبر
الخواطر فقصدنا ذلك الموضع فوجدنا به من الخلق متخللين رجالا

ونساء

ونساء ماضاق بهم ذلك الموضع على اتساعه بعد ان ما بيننا من
زحام الخلق وكان مع جميع الاسواق والازقة اكثر مما اجتمع منه
في البلاصة بقصدنا الموضع الذي اعدلنا وصعدنا اليه وحيث
جلسنا وقابلنا الكاهنة سلم علينا سلاما كثيراً وازال شعر بيرة من
على راسه وقعد هو وزوجته واهله وحشمه حوله ووزراؤه واجتازوا
بصلبانهم وتصاويرهم وبصورة هذا البرايلي الذي اذن لهم فيه البابا
وجعلوا له كنايس عديدة في كل مدينة وقرية وكذلك ايضا جعلوا
له في كل موضع عبيدا على قدر المدينة او القرية والبرايلية المنتسبون
اليه هم الذين يقومون بامور المرضى من معالجة

لطف ابياض

مسكلتاني اولعما البرنسيس لما شمع بانه وجذب برايه واشتد

عليه على ابناء جنسه ودخلته النخوة وكان مجاورا له ذا اليه
ولاية وعمالة لم تكن تحت احد من الملوك وانما ورثها عن سلفه
مثل ما بعضهم من العوايد عند ملوك العجم اذا كان له عدة
اولاد بان البكر هو الوارث للملك ومن بعده يكون دوكا على
طرف البلاد يكون معينا مغروبا لا ينازع فيه ولا يطمع هو معه
في الملك الا اذا انقرض اخوة الوارث عن غير عقب ووقف الامر عليه
في عوايد ميراثهم واما اذا لم يكن في عوايد ميراثهم ان الام يرث اخاه
اذا لم يكن ولد بان غيره من نسل اخيه يرث الملك سواء كان
حفيدا او ابن حفيد او ابن اخت او بنت اخت وكان هذا الدوك
المذكور واليا على طرف من البلاد ليس هو من جنس البرتقيس
صاحب البرتقيس ان يعزله ويعمل غيره مكانه وعجز الدوك
عن مقاومة البرتقيس فانكر البابا عليه ذلك فابى الانقياد
على فعله ولم يعمل بقول البابا ولا بانكاره عليه وحيث كان
جميع عبدة الصليب تحت نظر البابا واليه ينتهي جميع كلامهم
ومن عنده يلتمسون جل اديانهم واحكامهم وعنه ياخذون
دينهم المنقب عن طريق الحق والهدى تابعين بذلك سبيل
الغي والردى بحدث لهم اديانا على وفق ارادته وهواه ويساعدونه
في الامور التي قدر الله تعالى فيها شقاوته وردائته فكانوا لا يبرمون
شيئا في امر دينهم الا عن اذنه ومشورته ويوافقونه فيما بالهم

اغراضهم

اغراضهم من امر دنياهم وربما ستتهم بحيث وقع الانكار من البابا
على البرانسيس وخالفه وقعت المشاحنة بين البابا والبرانسيس
لعدم انقياده اليه وارادته مخالفته في مثل هذه المسئلة وخرمه
القواعد التي لا سبيل لهم الى خرمها وازالة ذوي الاقدار عن مراتبهم
وميراثهم الى ذلك المشاحنة والمنابرة بينهم وفي اثناء ذلك
وقع بين البرانسيس ايضا وبين انبرادور ملك المانيا كلام في شان
المهادنة التي بينه وبين الترك فوالى الله ودعا الى افساد
المهادنة ورجوعه عن مواصلته فلم يكن من البرانسيس التفات
الى الانبرادور ولا الى ما دعا اليه ووقع الشنعان بينهما بسبب
ذلك فحين صار بينهما ما ذكر من الشنعان انكر الاجناس الآخرون
من المسيحية على البرانسيس تصممه على خلاف الانبرادور
وعدم مساعدته الى ما دعا اليه من طرح المهادنة وكان للانبرادور
عند الاجناس المسيحيين منزلة ومكانة من اجل مقابلته
المسلمين دايما واشتغاله بالحرب معهم ساير اوقاته وزمانه ومن
اجل ذلك يلقب بالانبرادور ومن اصل اجناس اخرى يتابعونه
في حربه جازم الاجناس الذين هم الى نظر البابا وكانوا شيعة للانبرادور
عداوة البرانسيس وكتبوا اليه قايلين له اعلم تحشمك لهذه الامور
وارتكابك لها من مخالفتك للبابا الذي نحن جميعا الى نظره ينتمي
الى خرق العوايد من ازالة ذوي الاقدار عن مكانتهم وخالفت راس

هذا الدين وتعمدت مخالفته وقد علمت ما بيه مخالفته ومتى معادنتك
مع الترك وبقاؤك معهم على المعادنة وقد علمنا ما بينهم وبين
الانبراطور من الحروب التي لا يمكنك جحدها وهي دينا ومنه اهبنا تجب
علينا معونته واتباعه فاما ان ترجع عن صلحك مع الترك وتصير
معنا ومع الانبراطور حالة واحدة واما ان نضرب الديوان على عداوتك
وحربك لنا منهم انه ان رءى اجتماعهم واتفاقهم كلهم على منوالك
وحربك لا يقدر على مقاومتهم فيرجع على نفسه بالندم والندامة
وان صمم على مخالفتهم واجمعوا على عداوته براوبحرا يفعلون
لضرره ويكسرون شوكته فلما رءى ما اجمعوا عليه وسولت له نفسه
مقاومتهم وعلم من نفسه ذلك كتب لهم فايكا انه اطلعت على
ما اجتمعتم عليه واريد ان توجهوا اليّ ذلك فخلوك ملوككم
كلهم في ذلك رايي واستشير في نفسي فاجابوا الى ذلك واتفقوا عليه
ووجهوا به اليه فلما رءى ما اجمعوا عليه وفرأ ما اتفقوا به من حربهم
له اذا لم يرجع عن معادنته مع الترك ويساعد الانبراطور في مساعدها
ويقلع عما كان ارتكبه من مخالفة البابا بهم حربه لهم فكتب
تحت اشهادهم بذلك بخط يده هؤلاء الاجناس عدو للفرانسيس
والفرانسيس عدو لهؤلاء الاجناس وبعث به اليهم حيث راوها اجمع
عليه من عداوتهم لم يكن له بد من حربه حيث اشهدوا على
انفسهم بذلك واشتعلت الحرب بينهم بسبب هذا براوبحرا وما

زالت

زالت الى الآن في هياج وانشعال وهذه الاجناس المذكورة هي اسبيول
والالمان والفلميان والسوسية التي يسمونها النصارى بسيمية وسابويه
ولم يتخلف عن الدخول في حرب هذا الحرب الا البرتغال فقد دعوا
لما غيتهم الى الدخول معهم فابى ولم يدخل معهم حزبا ولا حربا
وكذلك جنس الجنويز لم يدخلوا لم صنعة وكبيرتهم هي الدوي
يسمونه ڤران دوي ومعناه الدوي الكبير لما تحت يده من
الولايات والعمالات غير انه لم يورط نفسه معهم في حرب
وانما هو مع الفرانسيس في معادنة انفق معه عليها بجعل معلوم
وسفاين معدودة في البحر حيثما يطلبها يجدها وبقوامع سائر
الاجناس في معادنة وقد كان جنس اللنجليز والفلامنك قبل هذا
ايضا لم يدخلوا مدخل هؤلاء الاجناس المسيحية في حرب لانهم لم
يكونوا معدودين عندهم نصارى بسبب اختلاف ما بينهم من عدم
المبالغة في اتباع البابا كما يتبعه سائر النصارى عبدة الصليب
واللنجليز والفلامنك هم حالة واحدة وهم ينكرون على الصليبيين
امورا وأشياء ابتدعوها من الضلالة وحملهم على سنن ضالة نسال الله
السلامة وبسبب ذلك يسمون المسيحيين هؤلاء اللنجليز والفلامنك
الريكيس ومعناه الرواجض وحيث كان طاغية اللنجليز توفي اثناء
عداوة المسيحيين بينهم ولم يخلف ولدا يلي ملك ابناء جنسه
من بعده وخلف اخا يسمى يعقوب وكان يعقوب هذا امرو زوجته

يعتقدان دين النصرانية خفية من غير ان يعلم بهما احد من
قومهما وتمت امات اخوه وتعين الامر عليه لم يكن له بد من
توليته وانزاله منزلة اخيه يدعوه الى التملك عليهم فامتنع
وابى فخيل امنه ومكر فحيث الحوا عليه ورءى ان لا سبيل لهم بالتعدي
الى التملك لعدم من يستخفه بالميراث فقال لهم لا اساعدكم الى
ما تدعونني اليه وتطلبونه مني الان علمتم لي عرضا لا خرر عليكم
فيه وهو ان كل من احب دينا يتبعه فهو فوض في ذلك وساعدوه
والبسوه التاج وملكوه فلم تزعجهم الا واصبح هو وزوجته وقد علقا عليهما
الصلبان والتهرا العرابيليا من النصارى عندهما ودخلا الكنيسة
وصليا صلاة النصارى وتبعه على ذلك من كان بخدمته عالما به
واحب ان يحمل ابناء جنسه على اتباع دينه الذي اصبح متدينا به
حين رءى جنس النجليز ما حل بهم من مخالفة ملكهم دينهم
واتباعهم دين اهل الصليب خافوا سريان ذلك الداء الى عامتهم
فلا يمكنهم حينئذ حسم تلك المادة وانكروا على الطاغية ما جعله
من التدين فدونوا ديوانهم مزمعين على قتله بحيث احس بذلك
منهم هرب الى ملك الفرانسيس هو وزوجته واحتمى به فاجمع
الفرانسيس على نصرته ومحاماته فرحا من النجليز ورغما على
انفهم فخالفوه في ذلك وصار بينهم كلام كان الانفصال فيه الى ان قال
لهم انتم اجمعون لي اعداء مثل سائر النصارى فاستعدوا لحرب الى ان

ارد

ارد الهارب الى داري ومملكته بالرغم منكم وحيث حل بالنجليز
ما حل بهم من خروج ملكهم وتولد الحرب بينهم وبين الفرانسيس
ملكوا عليهم البرينسيبي دوراجي فيهم جنس البلانك اذ كانوا
هم واياهم متدينين بدين واحد فلا اختلاف ما بينهم وبين اهل
الصليب وتولى البرينسيبي امرهم ونفوذ بالملك وازمعوا على حرب
الفرانسيس برا وبحرا حيث كان بلاد البلانك ولا نغة مجاورة لبلاد
بلانغس وبلاد بلانغس هي بالاصالة من جنس البلانك ايضا
وكانوا اقبل على رايهم ومذهبهم في التدين والاعتقاد وحين
صارت بلانغس عمالة لجنس اسبانيول بانتقال الكونت زوج ابنة
مرناندو الذي كان باشبيلية كما قدمناه وصارت بلانغس وجميع
احكامها الى نظر طواغي اسبانيا لزمهم بما لهم عليهم من الغلبة
ان ينصروا ويكونون على دين حكامهم فنهض اليهم الفرانسيس
هذه السنة بعدة اضعافها قبل معركة الدلفين ابعده الله وادركه
هو بعد ذلك بنفسه فخيم على قاعدتها مدينة موفى وحاصرها
اياما قلائل ونصب عليها المدافع والبوغات وضيق بهم تضييقا كثيرا
وكان بها من ادالة اسبنيول اثنا عشر الفا فحيث ما رأوا ما حل بهم
من التضييق وخافوا الهلاك اعطوا القياد بملك القاعدة وجميع ما هو
محسوب عليها ويضاف اليها من القرى والمدن والعمالات ما ينيف على
سبعمائة بين مدن وقرى وحين دخلها في يوم عيد الفصح

منتصف شهر ابريل من عامنا هذا ترك المحلة عجبة ولدى الدجين
ورجع الى باريز دار مملكته وقاعدة بلاده وما زال ولده اليوم مقابلا
للبرنسيبي دوراجي المملك على جنس البلامنك والانجليز ودعوا
ان عدد جيوش البرنسيبي خمسة وسبعون الفا ولهم عمارة في البحر
مقابلة لعمارة البرانسيس زعموا ان عمارة الانجليز هزمت عمارة
البرانسيس وامسكت لهم اربعين سفينة وحرب البرنسيس ايضا
مع اسبنيول براو بحرا في البر حاصر مدينة تسمى ماطونيا
في عمالة برسلونة وخيالة محلة لجنس اسبنيول ولهم امرها
دوك مدينة صيدونية الملقب بقزمان وقد كانوا ايام مقامنا
بمدريد يخافون عليه البرنسيس بما دون جيش قليل لا بال له
وكانوا ينتظرون ما يكون بينهما بزعموا ان في هذا الشهر خيم عليها
ونصب عليها وعلى المدينة برسلونة المدافع والبونيات وهدم
منها عدة دور فخاف اهل برسلونة الذين بلادهم من جنس
البرنسيس وامروا بخروج ما يربو من هو اعزب وان لا يترك الا من هو
متاهل وحين فعلت سفن البرنسيس برسلونة ما فعلت تقدمت
الى مدينة تسمى الفنت فهدمت ايضا منها بالنبونيات ما ينيف
على ستمائة دار فاحاط اهل الفنت بمن معهم ايضا من البرنسيس
وقتلوهم بحيث لم يفلتوا منهم احدا بزعموا ان عدد من قتل منهم
بالفنت ثلاثة الاف نفس وحين سمع اسبنيول بتقدم عمارة

البرتسيس

البرنسيس الى الفنت وبرسلونة وكانت عمارته قد ذهبت الى البحر
الكبير بقصد البحث عن سفن الهند لبلد اخبارها منهم وبوات
وقت مذمومها بعادتهم وجعوا من استرجع العمارة للتقدم نحو
بلاد الفنت وبرسلونة لمحاربة عمارة البرنسيس فلم تصل العمارة
الا وقد هدم البرنسيس ما هدم وعمل ما عمل ورجع فلم يدركوا
بتلك الناحية احدا من عمارة البرنسيس وللبرنسيس ايضا حروب
اخرى مع اهل بنيسية وايطاليا والعانيا وساوية فان بلاد سابوية
هي بيد دوك يسمى دوك سابوية فان دخل في حزب اهل
الصليب في العداوة التي نشأت بينهم وبين البرنسيس وفي هذه
السنة تقدمت محلة البرنسيس نحو سابوية وضيقت باهلها تضييقا
كثيرا وملكت جميع بلاد سابوية وحدتها وقراها حتى لم يبق
للدوك القيم عليها الا مدينته التي هو محاصر بها القوم وما زالت
المحلة محيطة به ومحاصرة له وبسبب محاربة البرنسيس للانبراطور
حسبما تقدم ذكر الاسباب المثيرة لها ينسبون له المعونة لملك
الترك خزاه الله ويزعمون انه يمده بما يحتاجه من الامور الحربية
مثل المدافع وغيرها وبسبب مقام الباشدور للبرنسيس ببلاد اسبنيول
يزعمون انه يمده والصحيح ان اهل فرنسا اهل اسباب وتجارة وجل
تجارتهم وانعاشهم في الناحية الاسبانية ولاهل الاسباب والتجارات
عندها عناية البرنسيس حضرة الله منزلة ومكانة اذ كانوا هذه

السنين هم اهل ديوانه وحل بطانته فكان بساعهم فيما يقول الى
منفعتهم من الاسباب والتجارة التي يعود نفعها عليه ويجعل بسببها
من الاموال مالا يجعل بخلاف غيرهم من الاجناس مثل هذا الجنس الاسباني
فان التاجر عندهم لا يعد شيئا وبسبب ذلك قبل جنس التجار من
جنس اسبنيول ولا تجد احدا منهم مسافرا في بلد بقصد التجارة الا
ما كان في بلاد الهند وأكثر من باسبانيا من المتسببين والتجار هم
الانجليز والهلامنك والجنوبز وغيرهم بابوان البرتغيس مع التجار
من قومه هو بسبب ما يراه من المنفعة في ذلك والا فالترك يطلبون
القوة والمعونة من الله تعالى لا كما يزعم هؤلاء الجهال اهل الضلالة
لان انقياد البرتغيس لانبرادور وحربه معهم للترك بسبب
استخلاص في الحسنة العارضة مدينة ابن الاغراض وما حولها والله
تعالى ناصر دينه وآتي ورد هذه الساعة من الاخبار عن ملك الترك
ايده الله هو انه جمع جموعا كثيرة وراء ان لا يبقى العنان يحول الله
وفوته دون مدينة مانية التي هي قاعدة المانيا ومحط سريره ولقد
اخرجوا في اخبارهم التي يكتبونها على عوايدهم في هذا الشهر ان
وزير السلطان سليمان برز بمحلته وبها مائة الف مقاتل وان جيش
التتار قدم في ميعاد محلة الترك بثمانين الف مقاتل وصحب
وصولهم الموضع المعتاد محلة لقبطان من خدام الانبرادور مخيم
بموضع من المواضع معه ستة الاف مقاتل محارب التتار محلة

القبطان

القبطان المذكور جاسروا من قومه اربعة الاف شخص وفتلوا عدة وسلم
بعلت من السافين الا النزر الذي لا يعد لقلته ومع الترك محلة اخرى لعند
يسمونه التاكلي كان قبل هذا تحت ملك الترك بلامة وعهد وجلاب
بعد ذلك لراسه ملكا ان وقع بعد بينه ابن الاغراض ما وقع رجع التاكلي
الى نصرة السلطان سليمان ايده الله وجعل لجنس اهل الصليب
اجاعيل نوهوا به في تواريخهم بسببها وقد ذكر ان الانبرادور كثيرا
ما حاول ان يثني التاكلي عن ملك الترك فلم يقدر ثم بعد ذلك
اغار بعض اصحاب الانبرادور على قوم التاكلي فاسر منهم عدة كان
فيمن اسر زوجة التاكلي وبعض اولاده فارسل الانبرادور على فتلهم
رجاء ان يثنيه فلم يفعل فحينئذ حبس الانبرادور زوجة التاكلي
ومن اسر معها وما زالت الى الان عنده وازداد بذلك التاكلي جراءة
ونفادا على اهل الصليب دمرهم الله وما زال الانبرادور فجعه الله
بستغيث باهل الصليب ويجعل بينهم وبينه المهادنة ممن والى
بلاد الترك ليكونوا له معونة باستغلال المسلمين فواهم الله مثل
جنس يسمى بولونيا فان بولونيا هذا جنس من اجناس النصارى
دمرهم الله ولهم عمالات وبلاد موالية لبلاد الترك ولهم ضاغنة
هو في حرب مع الترك ايضا وزعموا ان الانبرادور كان يريد ان يدخل
معه في حرب الترك جنس مسكوبيا وهم في بلاد من ناحية الشمال
محاول منهم ذلك الى ان اجابوا ثم وقع بينهم ما اوجب المنابزة

والوحشة ويزعمون ان طايفة من الشطار بينهم وبين اخوانهم
منابرة وهم تحت عهدها غاية مسكو بيابدمة ويزعمون ان لهم
عدداً كثيراً اخلى الله الارض من جميعهم وعمرها بدوام ذكره
وتوحيده ونصر دينه القويم ولجنس اسبنيول عادة في من
يريد الكبيرة ولم يظهر له من اين يدرها اولم تكن له يد عند
المخزن يلحق بها ما يعيش ويكفيه عن معالجتها الاسباب وغيرها
بان يقصد بلاد المانيا على بعدها ويحضر هناك لحرب مع المسلمين
اعزهم الله ويجعل يده اشهاد او بينات تنبئ له خدمته
ونصيحته وبذل مجهوده وحين الى بلاده اسبانيا يستظهر بالاشهاد
التي بيده ويدلي بحجة الخدمة وصدق النية فيما كان توجه اليه
فيدرك بذلك من الكبيرة ما هو له اهل او مثل ما يدرك امثاله
الذين لهم يداً ولهم حجة يطلبون لها ذلك وهي عوايد المتلطاف
منهم الذين يجهلون الكبيرة وان كان من نسل اعيان اهل بلاده وكان
لوالده لقب من القاب الكبيرة مثل الدوق والكونت او المركيس
ومن دونهم في المنزلة ولم يكن له ميراث يرث به كبيرة والده يتقدم
الى محلة من المحال واكثرها او اقدها بلاد المانيا فيحضر هناك
حربا اولم يحضر حين ينقلب يأتي في يده باشهاد من رئيس
العسكر بانه حضر معه حرب كذا في موضع كذا وابلى بلاء حسنا
وجعل وجعل سواء فعل ذلك ام لا فيطلب منزلة اورا تبا يتسع به

حاله

حاله لان من عوايدهم في الميراث انما هو للبكر من الولد ذكرا كان او
انثى فما دامات احد الاعيان من الملقبين بهذا اللقب يورث ذلك
للبكر بجميع متروكه بحيث لا يرث غيره معه من اخوانه شيئا ولو
كانوا بعدد كثير وليس لهم الا ما بخصهم والدهم في حياته بعطية
اوهبة او صداق بعد فه البنت لان من عادتهم اعطاء الصداق مع
البنت فاذا كانت البنت هي الوارثة لكبيرة والدها وصداق تزويجها
بعض من له لقب من القاب كبيرتهم مثل لقبها او اكبر منه يتولى
جميع ميراثها وتصير تلقب هي بلقب الزوج واذا صادف تزويجها
بعض اولاد الاكابر ممن ليس له لقب ولم يكن وارثا لابيه يحصل
هو بتزويجه اياها على كبيرتها ويصير ملقبا بلقبها ومن اجل ذلك
يتعلل تزويج بعضهم ممن ليس بوارث لتتوفه الى تزويج ابنة
احد الاعيان ممن ليس لها الميراث واما اذا لم يكن لها ميراث معادتها
في الصداق هو ان يعجلها والدها مائة الف ريال لا يزيدها على ذلك
بتقدير من الطاغية (ك) الريال عند اسبنيول هو جزء من عشرين
من الدور والدور هو الريال المصطلح عليه عندهم اخرى بكونه
خمسين مرنكات او خمس اللويز الذهب فيكون الصداق المذكور
اعلاه هو عشرون الف دور من قسمة مايتة الف على ٥ يخرج
٥ مع الباقي (ك) ولهم في الميراث عادات ليست جارية على
قانون واحد في ميراث الكبيرة مثل ما لوزير من وزراء طاغية اسبانيا

يسمى فند اطبابلى مع انه معروف عندهم بالكبيرة ودلك ان عادته
الموروثة من عهد اسلامة اذا مات ولم يخلف ولدا ذكرا فان ميراثه
وكبيرته لايرثه احد من ذوى قرابته وانما يرثه رجل اجنبيا من خدامه
الاول منهم فالاول فاذا مات ينظر ايى خدامه اسبق واقدم فى الخدمة
فيتولى جميع منزلته وكبيرته من وزارة وغيرها واذا اختلف ايى
خدامه اقدم واسبق يعين ساعة معروفة ويخرج من دار من هو
معروف عندهم بالامانة والنقة فى دينهم فحين يخرجون اول مار بهم
يدعونه ويولونه تلك المنزلة سواء كان من ذوى الاقدار او من ساير الناس
فياخذونه ويذهبون به الى طاغينتهم فيجثوا امام الطاغية ساعة
وبعد ساعة يامرى بالوقوف عن يمينه موضع الوزير المتوفى ثم يامره
بعد ذلك بتغطية راسه وفتولى تلك المنزلة واحتوى على جميع
امتعته واملاكه وبلدانه وعمالته لان من عادة هؤلاء الاعاجم
الذين عند العجم لهم فى بلدهم ولايات ومدن ورثوها حين تغلبهم
على هذه البلاد واعطوها تلك الساعة ولا تنزع من يد احد من
خلف ذلك السلف الذى ولى شيئا منها ولها لا ابنت ولد اخ لانهم
لايرثون منه شيئا مخلون عن عادة العبراث وله ولد ابن انه لايرثه
وهو حاكم فالى اخراه الله ولهم عادة اخرى عند رجل يدعى
البرنسيب ببرسلونة من ناحية فالطالونيا مات وخلف ابنة
من اجمل اهل زمانها وخلف لها من الاموال والامتعة والذخاير والضياع

والمدن

والمدن والقرى مالا يحصى وجميع ميراثها منه جميع متخلفه وان لاينزوجها
الا من يغلب اتراته بحضرها بعد المحاربة وحين توفى والدها وشاع
خبر ميراثها عند ساير اجناس اهل الصليب وردجميع اولاد الاعاجم
والاعيان من كل فج يطلبون البراز امامها ويروم كل واحد منهم ان
ينالها واجل ذلك عندهم ستة اشهر فحين ياتى الرجل الذى يريد
البراز مع الغير ينزل خارج المدينة بعد ان يمر عليها ويتراءى وتعرفه
ويتواعدون ليوم معلوم يخرجون الى موضع المبارزة ويركب كل واحد
من المتبارزين فرسه بعد ان يستعد ويلبس من الحديد والدروع
مايقدر عليه ويحمل فى يده قنة مرصعا فى راس حربتها حجارة من
اليمنى بحيث تحبس فى الحديد ويزهق عنه ويقصد كل واحد منهما
صاحبه ويضع القناة فى صدره ويتدابعان فايهما اراد صاحبه عن
فرسه صارهو الغالب الى ان يغلب فينعزل ناحية وتصير حينئذ المراة
هى التى يتبع عليه الى ان ينتهى امدا لاجل المذكور ولا يبقى من يقوم
لذلك القصد حينئذ يخرج المنعزلون ايضا من جميع من غلب ويتبارز رجل
مع اخر حتى ان ذلك العدد المنعزل غلب ايضا صار له الزوجة بالميراث التى
لها وبعد زعموا انه ورد من الاعيان جماعة وتبارزوا وكان بينهم شاب
ابن عم لطاغية البرنسيس اعجبها حين راته وبعثت له هدية وضيافة
لم تكن من عادتها توجهها لاحد فى اليوم الذى يقدم فيه ووقع بقلبها منه
ما وقع ثم ان (يوجد البياض بالاصل) ومثل هذه المسئلة

والشباهها من الامور الجارية على غير قانون وامر بعض عوايدهم في الميراث
قبل وما يراد برايه قبل موته وللرجل عندهم النظر في جميع متاعه وماله
ان احب ان يعطيه لاجنبي او اجنبية ويخلي اولاده من الميراث
بلا حرج عليه في ذلك واذا ورث متاعه للغير بحضرة بان يتزوج
احد ابنته بعض من له لقب الكبيرة وكانت هي التي ورثت والدها
وليس لزوجها لقب او كان له لقب دون لقب زوجته صار هو يدعى بلقب
الزوجة ويتساوى على جميع ذخايرها ومتعته واولاد الرجل الموروث
بلقب غير لقب والدهم ومن اجل ميراث النساء على هذه الصورة
صار هذا الجنس الاسباني يتوقع تولية البرتسيس عليهم باحدى
الامرين اما بالميراث اذا لم يولد لها غيتهم وذلك ان البرنسيس
كان تزوج ابنة مليب ٤ خوالف اخت هذا الطاغية لابيه مولدت من
البرنسيس ولدا يسمى الدليين اخزاه الله ظهر له من المكر والخبث
اكثر مما لوالده وامرهما الله فاذا مات هذا الطاغية كرلوس ٥ سكونت
ولم يخلف من يلي ملك اسبانيا من نسله صار ملكها ولد البرنسيس
بالميراث من قبل امه واما بما يظهر لهم اليوم من حربه معهم وتقدمه
بنفسه الى الحال والحروب وعجز الطاغية عن التقدم بنفسه وعدم
نهوضه في جميع زمانه الى حرب وقتال وبسبب هذين الامرين وتوقعهم
ولايته عليهم صاروا يتعلمون لسان البرنسيس ويعلمونه اولادهم في المحافل
والمحاضر من غير مبالاتهم بطاغيتهم ولا اكتراث وما وقع هذه السنة

من البحث.

من البحث بالبرنسيس وقتلهم اياه بشير بينهم من الحنو ما يشغلهم
ويضرم نيران عداوتهم بينهم وقد كانوا بيما قبل موت الپاپا المتوجه
هذا العام يزعمون انه يحاول صلحا بينهم ثم مات بعد ذلك الا ان
البرنسيس حيث كان وقع بينه وبين الپاپا ما تقدم من المنابزة صار
يحدث لنفسه احكاما وامورا دون الپاپا وسبب مخالفة العلامنك
والتخيير لاديان الصليب بيما قبل ان بعض البرابلة كان وقع له
مع الپاپا تنابز ومشاحنة الى ذلك الان سجنهم سنين وحيث
وقع لهم السراح نفروا من الپاپا وانحازوا الى البرنسيس وصاروا
يجدون له من الديانات ما يوافق هواه الى ان جوزوا له تزويج امراة كان
عنفها واحلوا له اخذها مع زوجته الملكة وقد كان الپاپا نهاه عن
ذلك ومنعه من التزويج مدة حياة زوجته مخالف الپاپا في ذلك وعمل
ما اشتهاه لنفسه ودعاه اليه فلمه مع انه لا يحل لهم في دينهم تزويج اكثر
من امراة واحدة وهذا الپاپا المذكور لا يفدرون اهل الصليب على مخالفته
في شيء قل او جل حيث كان يحدث لهم الديانات والاحكام والافعال
في ايام الصيام وغير ذلك مما هو مخالف فيه لنصارى المشرق وان كانوا كلهم
على ضلال فبحسم الله واخلى منهم الارض وذلك انه في صيامهم ياكلون
اليوم كله ويزعمون ان الصوم كما شاهدناهم وذلك انه في اخر شهر
فبراير يجعلون اعيادا ومواسم يجتالون فيها للصوم فاذا كان اول يوم
من شهر مارس فهو اول يوم من ايام صيامهم وهي ستة واربعون يوما

المعروفة على بني اسراءيل والستة ايام الزايدة تعب كل يوم احد دخل
في هذه الايام التي هي ايام الصوم يجمل ستة واربعون يوما وهذا الصوم
الذي يصومونه ليس هو بامساك عن اكل اوشرب او جماع وانما هو
امساك عن اكل اللحم فيما يزعمون الا من كان من الاعيان منهم او من
به عذر من مرض فانه ياكل اللحم ما عدا من الپاپا وغيرهم من العموم ياكل
الحوت في جميع ايام الصوم وقد احدث لهم ايضا فيما احله لهم اكل بيض
الدجاج في ايام الصوم بعد ان ياخذوا الاذن من البرايلية ويعطى على ذلك
جعلا معلوما قدر ثمن ريال عن كل نفس صغيرة او كبيرة فيتحصل من
ذلك مال كثير للطاغية فيه الثلث يصرفه على سفنه البحرية فيجد
الرجل الكبير الذي لا يملك درهما يتطلب في الاسواق ليجمع ما يشتري به
البولسية وهي الاذن في اكل البيض واكلهم في ايام الصوم هو سايرا اليوم
فاذا انتبه النصراني من نومه وقت الضحى او بعده يشرب كاسا او كاسين
من الشكلاطة مع ما يقدر عليه من البشكتو وهو خبز معجون بالسكر
وصفرة البيض فاذا انتصب النهار ومرت بعده ساعة ياكلون اكلا ذريعا
بعد كان من الاعيان الذين لا حرج عليهم او اعتذر بمرض ياكل من اللحوم
ايضا ما شاء ومن لم يكن من الاعيان او نوى العموم في عزمه ياكل لحم الحوت
والبيض وغيره ويشرب من الخمر ما شاء صرفا او ممزوجا ومتى عطش
يشرب على اختياره حتى اذا انتصب الليل ياكل من الطعام ما خف فاذا
نصف رحل في زعمه ويبيت الى الغد وحين انتباهه من نومه يشرب

على العادة وهذا كسايرايام الصوم الا ان البرايلية لهم اذن في الاكل
ايام الصوم قبل انتصاف النهار بنصف ساعة وعندهم في ذلك انهم
يبيتون من الليل في تعب التهجد والعبادة في زعمهم وغير البرايلية لا ياكل
الا بعد انتصاف النهار ولهم في ايام الصوم يوم زايد على يوم الاحد في استماع
الذكر والدخول الى الكنايس وهو يوم الجمعة رجالا ونساء ومنهم من
الفرياص ان يمشي الانسان ذلك اليوم راجلا فينزل من على فرسه ومن
كرسيه ويتمشى ساعة ومتى عطش شرب ويستمرون على هو هم
على الوجه المذكور الى ان تمر ثمان وثلاثون يوما فتدخل عندهم
الاعياد التي جمعها في هذا الصوم حسبما يزعمون ومنوع ذلك للمسيح
في اعتقادهم فاذا كان اليوم التاسع والثلاثون كان عندهم عيد الشعانين
وعيد الشعانين هو يوم دخول المسيح بيت المقدس على ما في انجيلهم
المتداول بينهم وان المسيح لما دخل بيت المقدس في ذلك اليوم خرج جميع
بني اسراءيل لملاقاته وفرشوا الطرق والسكك بالجريد وورق الاشجار وفيه
كان بنو اسراءيل يتطلبون عليه شهادة ليمسكوه ويقتلوه فعامن به
في ذلك اليوم جمع كبير على ما هو مذكور في انجيلهم فلم يمكنهم امساكه ولا
الانكار عليه في ذلك اليوم لكثرة من امن به فاذا كان النهار ذلك اليوم
عيدا يجتمعون فيه الكنيسة ويخطبون ويذكرون شانه وما وقع له ويخرجون
الصليب ويطوفون به الازقة ويعطي كل واحد من الحاضرين جريدة من النخل
او عودا من عيدان الزيتون او غيره من الاشجار الرطبة اللينة كالرند وما

اشبعه ويردونه الى موضعه ولقد رايت الطاغية ذلك اليوم وقد دخل كنيسة
دارة وسمع بها من الكبر والعيا ما الله ما الغناء عليه وعلى الحاضرين
للقسيس فيم الكنيسة وخرج بعد ذلك هو وجمع القسوس والرهبان
والشريشيب ومعناه المبتى والنوسس الخ هو خليفة البابا وقد
البسوه الرهبان ثيابا باخرة من الحلل المرصعة وبيد كل واحد منهم
جريدة من نخل وقد حملوا عليها من بقية امامهم وعلى الصليب كسوة
مغطاة بكسوة من حرير وبين ايديهم جماعة من البرابلية الصغار
الذين يحسنون الغناء ومعهم آلة الطرب من الموسيقى وشبهها
وبيد البرابلية ورقات يقرءون نصابا لخانصم وخلف هؤلاء البرابلية
اكابرهم وخلفهم الاعيان من خواص الطاغية وهو خلفهم وبيده
جريدة من نخل قد عقشوها بالازهار وطافوا به دار الطاغية وردوه الى موضعه
من الكنيسة وكذلك يفعلون في كل كنيسة من كنايسهم فتلفه ذلك
اليوم وبعده جميع النصارى وبيد كل واحد منهم جريدة من نخل او عود
من الزيتون او غيره من سائر الاشجار وفي ذلك اليوم حيث حضر الطاغية
عيد الشعانين ولم تحضر معه زوجته بعث اليها يعتذر عن عدم خروجها
وحضورها لمرض منعها عن الخروج وكان في ذلك علم ما عذرلنا
من غاب عنه في الاعتذار ومن الغد ايضا يجتمعون في الكنايس ويخطبون
ويذكرون ما وقع للمسيح بعد ما رفع للشعانين مع بني اسرايل حيث
كانوا يتطالبون عليه ويتشاورون في قبضه وقتله فاذا كان اليوم ٢٤ عيد

الفطر

الفطر من الصوم وهو المسمى بالفصح وفي هذا اليوم يجعل الطاغية
طعاما معدا للمساكين ويدعو ثلاثة عشر رجلا من الفقراء ويدخلهم
بيته ويخدمهم في مراتبهم ويأتي البوسب المبتى والنوسس خليفة البابا
ويحضران مع الطاغية في منزله الطعام للفقراء المذكورين ويتصرف
بين ايديهم في تقديم الاواني وتخليتها ورفعها مثل الخديم الذي يناول
مخدومه حتى يدفع لكل واحد من الفقراء ٣ ثلاثين دينارا من
الطعام ليس فيها من اللحم شيء لعدم اكلهم اللحم في ايام الصوم
وان كان اليوم يوم فطر من صوم جانهم ادخلوه في الستة الزايدة على
الاربعين كما قدمناه وانما يطعمهم الرطبة والياسمين حتى يطعمهم
جميعا ويناولهم الشراب والخمر فاذا فرغوا من الطعام جاء رئيس الكنيسة
وحبس في يده القصب والنوسس خليفة البابا الماء والطاغية يغسل
اقدام هؤلاء الفقراء جميعا وينشفهم بمناديل معدة لذلك وعند
فراغه من تنشيف قدم كل واحد منهم يعطيه كسوة ودراهم وينصرفون
بجميع ما دفع لهم وبالطعام الذي جعل باوانيه فمنهم من يبيعون ذلك
في الازقة بزحام الاعتقادهم في ذلك الطعام بركة وكذلك تجعل زوجته
وامه بعد واحدة منهما تطعم ١٣ امرأة من الفقراء على وجه
اطعام الفقراء الذين اطعمهم الطاغية وهذا الغسل في زعمهم
على ما في انجيلهم هو فريضة وسنة جعلها المسيح فيما يرونه يوم الفصح
واجب المسيح ان يفعل

لعله هنا بتر انظر

سايرالنصارى والقسيسين والرهبان والخصوص منهم والعموم ويخرجون
جميع ماعندهم من الصلبان والصور التى يعبدونها ولها بوابها فى جميع ازقة
المدينة وقد حملوا من الشموع الموقدة نصارا لا عد له ولا يقدر احد
ينزعم عن حمل الشموع والمشى امام الصلبان والصور ويقصدون بذلك
من كنيسة الى اخرى مظهرين مع ذلك حزنا وترحا وانه فى زعمهم
كذلك فعل بالمصلوب فيمرون بصورة المسيح قاعدة فى بستان يصلى
وقد نزل عليه صورة ملك فى يده كاس المنية وهو يتلقاها بيده ثم
يمرون بصورة اخرى ومعها من الحرص طايفة زاعمين انهم كذلك
تالبوا على المسيح ثم يمرون بالصورة وقد حمل صليبه على كتفه
ثم يمرون به مصلوبا ثم يمرون به بعد ذلك فى نعش محمولا بعد
ان نزل من الصليب ممن النصارى من يمثل نفسه بذلك المصلوب
فيغطى وجهه زاعما انه يختفى ولا يعرف الا ان خلفه خديم له
او صاحب يوقفه ليلا يلحقه غشيان من كثرة الجلد الذى يجلد ظهره
فتجد الدم منحدرا على رجليه وبعضهم يصلب نفسه وجسده ويربط يده
وراسه على عمود من حديد ويمر كذلك فى الازقة ايام البرمنتسون
وقد غطى وجهه ليلا يعرف ومن الغد ايضا يخرجون بصورة المصلوب
وقد صلب ويمرون بعد ذلك به وقد انزل من الصليب ثم يمرون به
وقد دفن فى القبر ويقرءون مع ذلك الحانا محزنة ويدخلون الكنيسة
ويخبونه ويطفون المصابيح والشموع ويصلون على الكنيسة ثيابا

سودا ويعلقون على ابواب الكنايس ولا يضربون ناقوس ولا يبرعبون كدشا
ولا عرسا مدة ايام البرسنسون وانما مشيهم في جميع الايام المذكورة
على ارجلهم خصوصا وعموما وقد ذكروا ان ثوان اسمها اخا هذا
الخاطئ المتقدم الذكر هو الذي منعهم من الركوب ايام البرسنسون
ومن الغد وهو اليوم الثالث من الفصح عند منتصف النهار يبتدئون
الكنايس ويشعلون ويوقدون الشموع ويزيلون المعلقة السود ويبدلونها
بالوان اخر ويضربون النواقيس ويهرجون ويطبعون فراخيس صغارا
فيها صور زاعمين انهم صور الملايكة ويكتبون بين الصور حروفا
بالكلدانية وهي الوثيا ومعناها افرحوا افرحوا فرحين
تضرب النواقيس فتطاير الفراخيس منهم ويتلقونها ويتهادونها
بينهم فرحين مسرورين في ظنهم بشرى رجعه لاعتقادهم الفاسد
صلب المسيح ودفنه ورجعه من القبر وما قتلوه وما صلبوه ولاكن
شبه لهم وان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه مالهم به من علم
الا اتباع الظن وما قتلوه يقينا بل رفعه الله اليه وكان الله
عزيزا حكيما وقد اغتر هؤلاء الضلال بما هم عليه مصممون
من الاعتقاد الفاسد والضلال البين والتنكب عن النهج القويم
والمحجة البيضاء ودلاهم الشيطان بغرور واضلهم عن سواء السبيل
فلقد تصمموا على الكفر ونهج بهم الهوى فاسحق الله سعيه منعجا
جائرا عن الطريق هو ومن تبعه من ابناء جنسه الآبين على مذهبه

وطريقه

وطريقه مما يميز منهم الى العامة من الدهاء والعقال والعادة التي
لا يجسمها الا السيف فان من عامتهم من اذا تكلم معه ويسمع عن الدين
وما عليه المسلمون من النهج المستقيم يصغي الى ذلك ويشكر ويستحسنه
ولا يتجانف من سماعه فما شاهدنا منهم مرارا والمرة من طلبتهم
ورهبانهم هم اشد عداوة واكثر فسادا واكبر الا شفيا تصمما على الكفر
والعياذ بالله بلغه لقينا من طلبتهم والعراقية الذين يدينون بهم
جماعة وتكلمنا معهم في امور ما يدعونه من الدعوة في المسيح
تعالى الله عن قولهم فوجدناهم افسد الناس اعتقادا واكثرهم
تصمما ولقد وجدت بمدينة راهبا من رهبانهم ورد من البلاد
المشرقية يتكلم باللسان العربي وله خبرة ببعض اديان المشارقة
من المسلمين فحادثته معهم وسكنا بين الحضور هم وتجاولنا
في الكلام الى ان قلت له ما تقول في المسيح فقال انه من الله فقلت في
هذا ان قلت انه كالبعض من الكل جزأته والباري جل جلاله لا يتجزأ
وان قلت انه كالولد من الوالد اوجبت ثانيا من الاول وثالثا ورابعا
الى ما لا نهاية له وان قلت على سبيل الاستحالة اوجبت فسادا
والباري جل جلاله لا يستحيل ولا ينتقل من حال الى حال فلم يبق
الا ان يكون على سبيل الخلق من الخالق وهو الحق الذي لا شك فيه
فمهم الكافر اخزاه الله على ما عليه اعتقادهم واعتقاد اباءهم
ومن هم الله من اعتقادهم الاستحالة تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا

ثم ورد علينا اخر يوما بعض البرابلية من اهل العجمية وكان
لا يحسن شيئا من العربية فتجاوزنا معه في الكلام على حسب ما يفهمه
بلسانه الاعجمي بواسطة ترجمان فبقي ساعة ثم قال والله ان
هذا الذي تذكرونه لهو كلام يقبله العقل ولا تجه الاسماع غير انه
مسئلة واحدة مثل هذه التي وقعت للمسيح هي معجزة خارقة للعادة
وهي من البراهين الكبار التي تحامر العقول كون الرجل يولد من غير
اب تعريضا بكونه ابن زنى اذ لا يعقل وجود ابن بدون اب ومن
القليات المسلمة لاحد الامس حتى تظهر عليه
من الموازين والمعجزات التي جعلها المسيح في عهده من ابراء المرضى
واحياء العاهات واحياء الموتى وغير ذلك مما لا ينكر ولا يدعى فيه
مثل ما ندعيه نحن هي مسئلة كبيرة وكان ذلك البرابلي كبير اهل
مذهبه وكان اهل مذهبه يختلفون اليه اذا تعرض ومنعهم من اعتيادهم
في العجب خوفا عليهم فلقيت يوما بعضهم فسالته عن سبب تخلفه
فاخبرني شيخه فصاحا ولم يطق لاحد من اصحابه في الزيارة الى ان قرب
رحيلنا من مدينة جاتي وشيع ولم يقصر في حسن الخطاب وسبب
تصمم هؤلاء الكبرة اخزاهم الله على اعتقادهم الفاسد هو اتباعهم
للبابا الذي يدين لهم الاديان ويشرع لهم الشرايع وهو في ذلك ناهج
نهج اهل الزيغ والضلال من المتقدمين مثل بوليس الذي روى لهم
ما يبدهم اليوم من الاناجيل المعتمدة على لسان اربعة زاعمين انهم

من الحواريين

من الحواريين وحاشاهم من ذلك وهم يوحنا ومرقس
ولوقا ومتى . وبولس هذا زعموا انه ممن كان يبحث
عن اصحاب المسيح ويقتلهم ويتعقب بهم وبينما هو سائر الى بيت
المقدس بقصد البحث عنهم نزل به نور وغشيه عليه فلما افاق
قال له يا شاول شاول لم تطردني بغتة وقد بقي بعض ثلثي التوبة
ثم قال له امض الى الموضع الفلاني من بيت المقدس وافعد
التقديس الفلاني فيمر عليك بعض من ساعته الى حيث
امرك ورجع بعض بانقلب عما كان يشتغل به وقعد نفسه
رسولا من المسيح وروى لهم هذه الاناجيل على حسب وقف ما اراد
من الكفر والضلال والعياذ بالله وعلى سننه الضال هم مارون نسئل
الله العافية والثبات على الدين القويم والمنهج المستقيم
وبسبب الضلال الذي يلقونه هؤلاء البرابلية الى غيرهم من
سائر النصارى وما ابتدعوه من الامور التي لا تحل سماعها وعشرة عدد
البرابلية والكليركوش فلما قدمت دارا من ديار النصارى الاوامرايلي
بعتادها في كل يوم يلقى من الكفر ما يلقى حتى احزموهم الاضرار
بالذنوب والجنايات التي يرتكبونها وذلك انهم عملوا عادات
جارية على الصغير منهم والكبير بان يقر كل واحد للبرابلي المادون
له في ذلك ويخبره بما صدر منه من الذنوب في زعمه بان يقول له
صدر مني في يوم كذا في ساعة كذا الذنب الفلاني وغرض الشيطان

هذا الاقرار طيلة ايام الفصح بين الكبير والصغير والمرأة والرجل والصبي
والصبية بجميع ما حدر منهم ويبنوا تجديد التوبة ويأخذوا على ذلك
رفاعا على قدر نسمات الدار بانه اقر في كنيسة كذا عام كذا باذا
دخلت ايام الفصح يأتي العرايلي الى الديار داراً داراً ويسلم الرفاع منها
واحدة واحدة بعد ان يعرف حساب من في الدار من النسم ليعلم هل
اخرجهم جميعهم فاذا تسلم الرفاع ووجد احداها غائبة يمهل القيام او يغيب
احد من اهل الدار من غير اقرار بانها مشناعة كبيرة يلزم باعطاها اثم
كبير ويعطى على تغييره واحرازه دراهم معلومة ويغرجيه ليخرج
من العهدة واساحهم في ذلك ما رؤي لهم في اناجيلهم المتداولة بينهم على
لسان المسيح على نبينا وعليه الصلاة والسلام من قوله من صنع اليكم
معروفا فكافؤوه ومن استغفركم فاستغفروا له فتلقاها رئيس الصلاة
البابا الذي هم الى نظرة بعضهم معكوس فاغفروا له فعار بعطيهم الاذن في ذلك
ويأمرهم به غيرانه لا يعطي الاذن في ذلك الا للعرايلي الذي جاوز الاربعين
وكان عارفا بعلومهم معروفا عندهم بالثقة والامانة غيران النصارى
وان كانوا يثقون بهم او في بعضهم نفيضة من الكبائر عندهم التي
لا تغفران يقوم احد منهم بشيء في واحد من العرايلية او يلمزه ولو شاهد
وحفظه واجب عليه ان يلتمس له عذرا او مخرجا مع تخفي سائر النصارى
معايبهم وتغابيهم وكثيرا ما ظهر في بعضهم من التغابي والخداع
والامور التي لا يقرها العقل والطبع مع الدعة والراحة التي هم مجبولون

قول المؤلف مع تخفي سائر النصارى معايبهم لم رايت في التاليف الاندلسي المذكور بعوله في الكبرة ما نصه يجب ان يمنع النساء المسلمات دخول الكنايس المشنوعة جان الفسيسين فيصنع زنا لوكيه ع لعله

ويحبس في خالص وجعلت ما فعلت بحيث لا يسمعه ولا يطلع عليه احد
دون العرايلي الماذون له في ذلك فيعزل العرايلي للعفر هذا ذنب تجب
منه التوبة والاقلاع وعدم الاصرار فاذا توبته وعدم الرجوع لعل
ان يغفر لك ما صدر فحين يتوب التوبة يطلب عليه العرايلي ويقول له
بعد ذلك اوعدا من علمائهم الكبرية عفر لك ذنبك وقد احرزوا
هذا الاقرار للرجال والنساء والصبيان وغيرهم ولا اقل من مرة واحدة
في كل اسبوع فيه يوم الاحد يخرج النساء جميعا الى الكنايس يفعلن
الاقرار ويسمونه الكونفصور ولم يحل الى الكنيسة يأتيها العرايلي
الى دارها ويلزمها الاقرار بان يدخل معها خلوة في زاوية من الدار ويغلقان
عليهما البيت والمسكن الذي تدخل فيه المرأة مع العرايلي ويقف معها
ما شاء الى ان تخرج فانها من الذنوب مشحونة بالمثالب والعيوب واذا
دخل زوجها ووجدها مع العرايلي قد خلا بها لا يقدر الزوج على الوقوع
عليهما ولا يمكنه ازعاجهما مالم يقضيا الشان الذي دخل اليه ولا يقدر احد
على الطعن في احد من العرايلية بوجه من الوجوه ولو شاهده على اقبح
الحالات مع ما اودع في هذا الاجناس من قلة الغيرة على المحارم لدخول
الرجل على نساء الغير من غير حضور الزوج او مع حضوره وقد التزم
البابا ايضا فيما فتح الله سائر الاجناس الصليبية في مسالة الاقرار زيادة
اخرى في عيد الفصح بان يقعد جميع النصارى رجالا ونساء كنايس معصومة

لعله

قول البير مشحونة بالمثالب والعيوب بعضا ما وقفت عليه في كتاب لمحمد بن احمد ابن عبد الله الشيخ الاندلسي المعروف بابن عبدون في الحسبة وتغيير المناكر قال يجب ان تمنع الامور التي من الدخول في الكنيسة الا في يوم فصل وعيد فانهم يأكلون ويشربون مع القسيس وما منهم احد الا وعنده منها اثنان او اكثر يبيت معهن وقد صار هذا عرفا عندهم لانهم حرموا الحلال واستحلوا الحرام يجب ان يؤمر القسيسون بالزواج كما في ديار المشرق ولو شاء وافعلوا يجب ان لا يترك في دار قسيس امرأة لا عجوزا ولا غيرها الا ان يثبت الزواج ويجب ان يجبروا على الختان كما جعل لهم المعهد عهدا بانهم يعبدونا على زعمهم على سنن عيسى وعيسى قد ختن ولهم في يوم ختانه عيد يعظمونه ويتركون ذلك في اخر الختان الذي هو شعار دينهم المسيح اشهى ما وجد بقرة

هذا الكتاب

عليها والانسان هو محل الخطإ والزلل ويخلوا الواحد منهم بالمرأة في بيت مغلق عليهما ساعة افرارها بالذنوب الصادرة منها من زنى وغيره بحيث لاتغيب عنه شيئا ولا تغيب عنه لانها صدر منها واذا اقرت بذلك من زنى او شبهه وخلا بها كيف يمكن تورعه عنها مع ما هو باش في بلادهم من الزنى وصدور ذلك من بعض البرابلية غير مستغرب مثل ما وقع في هذه السنة بعذيد من حضور حمل بنت بكر وحين سيلت عن ذلك اقرت باخ لها كليريتي فحبل وبعث الى السجن المسمى بالاعربة وكذلك اخبرني من اثق به بمعرفة ابنة بعذ بنة انتبيلية اعادها دار اسلام كانت من الحسن بمنصب ومكان باقتضى بكارتها خالها البرابلي وتقيت باقية لها اذا

نادرة اخرى

هذا

وعجب عن امرها لم تتزوج بعد ذلك وفي باقية لها الى العهد واخبارهم في هذا الباب كثيرة لاحاجة بذكرها وايراد هاذين للدلالة على عدم الغيرة التي طبعوا عليها والا فموقوع مثل ذلك كثير ويشهد لذلك ما سمعته من امرأة بعذ بنة انتبيلية حسنة الصورة وقد وردت مع امها واختبطا علينا بقصد الزيارة وقد جرى ذكر البرابلية الكليركش بالجمع وكثير من النصارى حضور فتنهدت وقالت البرابلية ملعون من يامن فيهم فسالتها عن سبب ذلك فقالت انا اعرف بهم من كل احد ولا احتاج مع قولي هذا الى تعبير فقضينا العجب من قولها مع حضور بعض الكليركش بالجمع وقلة مبالاتهم مع مكانتهم عند النصارى ومنزلتهم لديهم

لعونهم

نادرة

لعونهم هم الذين يتقدمون بهم في حلواتهم ويغرون لهم بذنبهم رجالا ونساء ومع ذلك وكثرتهم فان فيهم رجالا حسنة اخلاقهم يود لهم الانسان ان لو كانوا على طريق مستقيم نسال الله العافية فما شاهدته في الكنيسة الكبيرة المسماة بالاسقريال رجل كبير السن حسن الشمت والاخلاق يظهر من البشاشة واليشر وحسن الملاقات ما لا يعبر عنه وهو رجل كان كبير تلك الكنيسة واليه مرجع علامها وامرها واحكامها واحكام المداشير التي حوالي الكنيسة والغرس المحسوبة عليها والمضافة اليها فترك تلك الرياسة وزعم انه رغب عن الدنيا وزهد فيها ووضع الكبيرة وحبها واسند ذلك الى تلميذه يدعى دون اليوخص الكبيرة وكان هذا البرابلي القيم اليوم على الاسكريال يظهر من البشر والسرور وحسن الخطاب والملاقات شيئا كثيرا ولم يزل يتعاهدنا بعد المعرفة مدة مقامنا بعذيد بالزيارة حين يقدم على الكاغنة بمنزلة كبيرة وكانت ترد علينا رسايله من الاسكريال وهذا الاسكريال هو عبارة عن الكنيسة المتقدم ذكرها سبب بنايها في عهد بناتها قبلي سيكونة اذا كان حاضرا مدينة من مدن البرتغيص ونقب عليها المدافع والبونبات وكانت قبالة المدافع كنيسة لراهب يسمى برنصوريال فبنى ابن بني كنيسة اعظم منها بعدها واصاب المدينة وحين رجع بنى الكنيسة التي فاز ببنائها في سفح الجبل المقابل بين قشتالة الجديدة وقشتالة القديمة وهي على احد وعشرين

ميلا من مدينة مدريد وبناء هذه الكنيسة وما اشتملت عليه
من دار الطاعنة وتوابعها فله من الحجارة الصلبة للشبيهة بالرخام
منقولة من الجبل المطل على الكنيسة وهي حجارة كبيرة هائلة جدا
زعموا انهم جعلوا ساعة البنيان فنظرة كبيرة منتصلة من موضع الكنيسة
الى راس الجبل وعليها من خشب لتشحب الغرابيل الحاملة للحجارة
على هذه القنطرة المذكورة وتوضع الحجارة في موضعها من غير تعلب
لحمل الحجارة ليكون ذلك بسهولة والا فهذه الحجارة هائلة جدا
ولم يبق لهذه القنطرة المذكورة بقاء اثر يدل عليها الا انهم ذكروا
انها كانت عليها من خشب فلا يمكن بقاؤها وهذا الجبل المذكور في
غاية العلو والارتفاع وقدر ما بين الكنيسة وراس الجبل في صعود ما يقرب
من مسافة وهذا الاسكريال هو في غاية الضخامة والعلو والارتفاع
الصميك في الجو وله من الناحية الغربية ثلاث ابواب فالباب الوسطى
هي باب الكنيسة وما اشتملت عليه وفوق الباب صورة من حجارة
زعموا انها صورة الراهب لورنصو الريال الذي بنيت الكنيسة باسمه
والباب التي عن يمينها ويسارها هما بابان لداريين كبيرين لقراءة
الطلبة الصغار من العرابية الذين يتعلمون ويفردون علومهم
وقراءتهم ولكل طايفة منهم علامة من ملب ازرق واحمر على
شعبه على قدر ما بلغ اليه علمه من فنونهم واول قراءتهم الفلسفة
وما في معناها وفي هاتين الداريين من المتعلمين عدد عشر يفعدونا

مدرستان للتعليم

التعليم

الجبل الهندسية في نقل الاجرام ز

التعليم من جميع النواحي مدريد وغيرها الا ان الموضع المقدر عندهم
وعمالة بزعمهم هذه مدينة اخرى يسمونه صالامانكة على
ثلاثة اميال من مدينة مادريد فان من المعروف عندهم ان من لم يكمل
علومه وقراءته ويحصل دراية ذلك بمدينة صالامانكة فلا يعد
عندهم بمحصل وجل قراءتهم في حال الصغر ما يتلقونه عليهم معلموهم
من الكريات حتى يتدربوا على ذلك ويكون نصب اعينهم ومن بعد
ذلك يتعلمون الحساب وبعده الهندسة فاما الالاهين والالاهين
عندهم هو بمثابة علم النحو عند العرب فلم يعتمدوه جميع النصارى
ممن لم يحصله في حال صغره فتجد صغار النصارى يقعدون بهم ابائهم
المواضع المعدة للقراءة مثل الاسكريال وصالامانكة وما اشبههما
والباب الكبير الوسط الذي يدخل الى الكنيسة هو باب كبير هايل جدا
به من المفتوح والمصانع شيء كثير ويقابل الداخل من الباب على
كبير متسع وعلى الحين سواري كبار جدا وعلى كل سارية منها صورة
كبيرة من حجارة ولقد لبست الصور عساوي من جنس الصورة زعموا ان
جميع هذه الصور من حجارة واحدة وعدد التصاوير خمس زعموا
انهم ملوك ملوك ابناء اسرائيل ومكتوب على الصورة الاولى داوود
(النبي) على راسه تاج من نحاس مموه بالذهب زنته خمسة ارباع
وفي يده الآلة التي احدثها ويزعمون انها هي التي كان يقرأ بها
الزبور ويصنعونه الاربعة وهذه الاربعة هيئة كبيرة من خشب تقرب

من قدر قامة الانسان ولها من الوشر نحو اثنتا واربعين وهي حسنة
النغم لمن يحسن جسّها ونغرها وتقدّم الاجناس من التعاريف
يستعملونها كثيراً ويعلمونها نساءهم واولادهم وبناتهم فقلما
تجد داراً الا وجميع اهلها يحسنون نغر الاربة لمن يدخل عندهم
واكثر من يستعملها بنات الاكابر والاعيان وابناؤهم وكذلك يستعملونها
في غنائهم ويحيضهم ومواضع لعبهاتهم وهي اكثر ما يستعملونها
من ضرب آلات الطرب واما الالة المسماة عندنا بالعود فلا معرفة
لهم به وانما يعرفون آلة اخرى تقرب منه الا نقيلة وهي اصغر
من العود بقليل واوتارها تزيد على اوتار العود بوترين والاربة صيا
احسن منتكلم من سائر انواع الطرب وعلى يمين الصورة المكتوب
عليها اسم داوود النبي صورة اخرى مكتوب عليها هذا سليمان
ابن داوود عليهما وعلى نبينا الصلاة والسلام وعلى راسه تاج من
نحاس مموّه بالذهب فيه خمسة ارباع وبعده عصى من نحاس ممغرة
بالذهب ايضا زنتها ثلاثة ارباع وعلى يمينه ثلاث صور اخر مثل هذه
الصور ومكتوب على كل صورة منها اسم ملك من ملوك العكام ملكوا
ذلك العهد وبداخل الحصن بلاك كبير متسع ببطحرمه من الناحية
اليمنى مدارس كبار لسكنى طلبتهم والعرايلية وعدد المدارس اربعة عشر
مدرسة كل واحدة من العدد المذكور مشتملة على بيوت عديدة وعرب
من جوفها وبكل واحدة من المدارس المذكورة سقاية ماء وخفة كبيرة

١٤ عدد مدارس الاسكريال

وسوار

وسوار عديدة نحو العشرين سارية وكل مدرسة تدخل الى اخرى
وعن يسار الداخل من الحصن الى الكنيسة فيما يقابل باب المدارس
باب يدخل منه الى دار الطاعنية وهي دار كبيرة مبنية على جدار تحمل
وسقفها من حجارة الكنيسة وعلى صفة قبابها من الفخامة وارتفاع
السمك وعلو على قدر الكنيسة ولهذه الدار ثلاثة ابواب
واحد من داخل الكنيسة والاخر من خارج الكنيسة والثانية من
داخل للبستان المجاور للكنيسة ومن عادة الطاعنية ان يسكن
في تلك الدار شهراً واحداً في زمن الصيف لبرودة ذلك الموضع من كونه
في سفح الجبل والكنيسة بنفسها هي كنيسة كبيرة ذات سوار وبلاطات
ويقابل الداخل اليها الصورة المصلوبة التي يتعبدون بها وهي من
فضة معوهة بالذهب وبوسط الكنيسة قبة عالية السمك والجو
وهي في غاية الاتقان والصناعة مرتفعة على اربعة سوار عظام سعة كل
ربع من ارباع السارية نحو الاثني عشر ذراعاً وفي كل ربع منها مجلس مفروش
بالحرير والديباج يقعد عليه العرايلي ساعة تعبدهم وحلاته وفي داخل
هذه الكنيسة من القناديل الفضية والذهبية والشامية المموهة
بالذهب عدد كثير وبداخل هذه الكنيسة من انواع الجواهر والذخائر
والنفايس الموصوفة ما لا قيمة له وباعلى هذه الكنيسة موضع صلواتهم
التي يغنون فيها الالحان ويسمونه الميسة وبها آلة الموسيقى التي يسمونها
أورغان وهي آلة كبيرة ذات قنانيط وحجاب كبار من رصاص معوهة

على سكنى الطاعنية

مكان جلوس العرايلية

السرج الفضية

ما بها من الجواهر

تسمع اصواتا عجيبة ومنزعجهم في هذه المواضع واشباحا بهذه الاماكن
يزعمون انه يرد اورد عليه السلام والتوراة المنزلة على موسى عليه
وعلى نبينا الصلاة والسلام وتدينهم بالتوراة في زعمهم هي العشر كلمات
التي هم مشتركون فيها مع اليهود ويزعمون المحافظة عليها وتنهى النصارى
عن القتل والسرقة والزنى والدماء والاموال كم وجد هذه الكنيسة من العرابلية
الكبار الذين يعلقون الميتات والحلوات ما يتان ومن غيرهم الصغار
عدد كثير وفي اعلى هذه الكنيسة تسع منارات كبار عالية السمك
والجرم في كل واحدة منها ثمانية ساعات لمعرفة الساعات والنواقيس الكبار
التي تضرب في الاوقات عدد كثير يسمع لهم صوت على اميال يضرب على
نوع من انواع الموسيقى وعلى يمين الكنيسة خزائن كتبهم خزائن كتبهم
وعلومهم واديانهم والذخائر التي هي موقوفة على الكنيسة من عهد بانيها
هذه الكنيسة الى هلم جرا بحيث لا يقدر احد على التعرض فيه الا بالزيادة
عليه والى هذه الخزانة كانوا نقلوا خزائن كتب المسلمين من قرطبة
واشبيلية وغيرهما وزعموا انها احترقت بالنار جميعها فيما قبل الآن
من عشرة اعوام وقد رأينا موضع الحرق في تلك الخزائن وقد اثر فيها وفي
الكنيسة اثرا كبيرا وما زال الطاغية الى الآن مصمما بترميم ما افسدته
النار ولولا ما بهذه الكنيسة من سعف الحجارة وعدم الخشب التي تسرع
النار باحرافه لاتت على اخرها ومع ذلك فقد صعدت النار الى راس منار
من منارات الكنيسة وهدت من اعلى المنار حجارة كبيرة فتفطت اثرا

البستان

البستان المحيط بالكنيسة وهي حجارة كبيرة يعجز الآن عن رجوعها
الى محلها ويجاور الكنيسة ايضا من ناحية الشمال موضع لدفن اسلاف
هذه الطاغية من عهد واحد بانى الكنيسة غرلوس كنيك الى حان
ذهب الى جليقية عوارك والدهذا ومدفنهم جهة غور الارض ينزل
اليها بدرج عديدة من رخام احمر في غاية الاتقان وحسن الصنعة
ومقابرهم هي صناديق من رخام مموه بالذهب وفوق كل صندوق
منها بين ساريتين وعلى كل واحد منها اسم الطاغية المدفون به
وعدد من دفن بذلك الموضع خمس لهوانهم ونساؤهم كذلك الا
عادتهم ان لا يدفن بهذه المقبرة الا الطاغية الذي يخلف من يلي الملك
بعده واما من يموت منهم على غير عهد او لم يكن له ميراث للملك
فان هؤلاء لهم مدفن اخر غير هذا ليس هو مثله وهو مجاور له ايضا وهذه
هي عوائدهم في الدفن ويجاور بجميع هذه الكنيسة جميع ما تحتاجه
من الامور التي يحتاجها السكان والعمار من آلات الاقوات مثل الارحى
لطحن اقواتهم وموضع الطبخ ودار الدبغ وغير ذلك من جميع ما يكون
بالحواضر وبقرب من الخازن والديار المعدة للصناجين الطبية والاقوات
والادهان والعباء شيء عظيم ويجاور بجميع ذلك بستان كبير مشتمل على
جداول وانهار واشجار بشكل عجيب وهو الى نظر العرابلية ويجاور بجميع
هذه الكنيسة وبستانها موضع مصيد الطاغية وفنصه يحيط به سور
من حجارة في غاية الاتساع زعموا انه في دايرته مقدار ثلاثة وثلاثين برجا

مخازنها

وعلى مقدار كل مسافتين منها موضع فيه دار وبستان تنفيل فيه الطاغية
حين صيده وقد دخلت البعض منها حين وصولنا الى الاسكريال اذا
استدعانا الطاغية الى رؤيته حيث كان محجبا به وهذا الاسكريال
عندهم هو من الامور التي يعدونها في بلادهم من الامور العائلة اذ ليست
عندهم كنيسة اخرى على تشكلها من بناء انهم اعظم منها وأما
المساجد الاسلامية فلا يذكرون عظمها ولا ضخامتها مثل مسجد طليطلة
وقرطبة واشبيلية الشهير الذكر البعيد الصيت وقد ذكر مسجد
قرطبة في محله ومسجدي طليطلة واشبيلية في محلهما ان شاء
الله اذا كانت رؤيتنا لهما عند رجوعنا من مدينة مدريد وحيث كان
الطاغية مدة مقامنا عنده يجب تانيسنا ويريد جلب الخواطر منا
بالامور يعلم انها عندنا بمكانة من رؤية منتزهاته ومصايده وقصوره
وبستانه واعياده وداره وبيوتها وغرفها وخزانة عدته وسلاحه
وغير ذلك فلم يزل يتعاهدنا ويدعونا الى رؤية ما ذكرنا واشباهه فلما
عمل بداره اعيادا دعانا الى حضورها في داره التي يسكن بها ثالث ليال
متوالية وقد اعد لنا مجلسا في قبة مرتفعا لابسا متها غيره وجميع الاعيان
الاكابر والدوكيس والكونديس وغيرهم منا خواصه حضور ويخرج
بعد ذلك هو وامه وزوجته وبين يديه بنات الاكابر والاعيان وقد
حملوا بين يديه من الشموع عددا كبارا وصغارا محل جلوسه وقابل المجلس
الذي نحن فيه يستقبلنا ويزيل ما على راسه على هيئة سلام عليكم

ويقعد

المساجد الاسلامية

(١) في م ع ا مدريد

ويقعد صوزو جنبه عن شماله وامه عن شمالها وباقوا اهل الطرب والنساء
والرجال فيعملون ما هو من عوايدهم في طربهم وغنائهم الى ان ينشعب الليل
حينئذ يعزعون ويريدون الانصراف فيقوم الطاغية اولا ما على راسه ايضا
بعد ان يرجع راسه الى مقعدنا وينصرف كل واحد الى مقره وموضعه
وكان يسئل بعد ذلك من كان يصرف بين ايدينا من خدامه ويجيب
عن حال انشراحنا ولا يريد ان يغيب عنه شيء من امورنا صغيرها عنا
كل يوم ومن جملة منتزهاته ومتصيداته التي يقصدها كل عام في شهر
ابريل فيقيم بها قريبا من شهر هو وعياله والخصوص من خواص اصحابه
وخدامه موضع يسمى ارانخويس وحين انصرف اليه في هذه السنة
على عادتها وكان عمل امرا لخن بعدد بيد وزيره ورأس ديوانه
الكرد جنال فكنا نتكلم معه ونحث على سعرنا ونستعجله ونعزمه
وكان الطاغية يريد وجودنا عليه حيث هو في ارانخويس فاصدا بذلك
تفرجنا ورؤيتناه اذ هو عنده من احسن منتزهاته يوجه الينا يوما
الكبيس كتاب الديوان يعزل ان طاغيته يريد منكم الوصول اليه حيث هو
لتشرحوا خواطركم بما هنالك من البساتين والصيد فاجبنا عن ذلك
بشوقنا الى سعرنا ولم يبن لنا ارب في متفرج ولا منتزه لبطئنا عن
الرجوع الى بلادنا ومرادنا هو التشييع اذ هي جل مرامنا ومنتهى قصدنا
فانصرف عنا وكتب اليه بجوابناه فبعد يومين رجع الينا بامر عظيم يعزل
له فيه وصولنا اليه حيث هو لقصد التنزه والتشييع حيث نجينا من القلق

لتشوقنا

انفصال عن مدريد

ما انهاء اليه هو وغيره من خدامه الموكلين بتوفير امر الفندق الموكل بناظره مع الترجمان الحلي بصاحبتنا الى حيث هنواذ لا يمكن احدا الوصول حيث هو من غير اذن ولا مشورة. بانصرفنا مخلوة اليوم الثاني خرجنا من مدينة مدريد وسرنا تسعة اميال دخلنا فيها ثلاث قرى الاولى على مسافتين من المدينة تسمى بيرخ بلسانهم ومعناها الخضراء لما اشتملت عليه من الغروس والبساتين وهي قرية صغيرة قريبة من الحضارة وبعدها بمسافة اخرى قرية تسمى البنطة وهي اكبر من الاولى وبعدها قرية تسمى بلد الموز واوهي اكبر من القريتين المذكورتين وجدنا فيها دارا معدة للنزول فنزلنا بها الى ان اجتاز الحرور وبنا عشية اليوم فسرنا تسعة اميال اخرى واشرفنا على المنتزه المسمى ارنخويس الذي قصدنا اليه فلقينا بالقرب منه خيل بعثها الطاغية للقائنا والسلام علينا وقالوا انه لحق قدومكم عليه وسط النهار وقد اعد لكم مرجة نزولها عند وصولكم وحيث ابطأ عنه خبرنا بعث من يتلقانا فبقان وصولنا قرب الليل لم يكن معه شيء دون العبيد فانزلونا دارا مشرفة على جميع ذلك المنتزه ينتسب لوزير الكردينال وبتنا بها تلك الليلة بعد ان اتانا من خدامه من رحب وسلم وناب عنه في البشر وحسن الترحيب ومن الغد بعث الينا فدخلنا بستانا له هنالك وقد حف به واديان كبيران ومجمعهما يصب واد طاخوا وهو العار بمدينة طليطلة من هذا الموضع بعد مرورة بنحو مسيرة يوم وهذا البستان هو غاية في جداوله وانشداده ونظم

واد طاخو

اشجاره

اشجاره وقد اشتمل على ازهار وانوار ورود وطيب وعصاريج ويرى مياه على كل وصف وبه مقاعد في غاية الاتقان والحسن مطلة على الوادي من كلا الجانبين ومن هذا البستان دخلنا على الطاغية في داره بعد ان بعث لما فاتنا جماعة من خواصه وحين دخلنا عليه وجدناه على فراشه وعن شماله زوجته ومعها جماعة من بنات الاعيان وعن يمينه وزيره وبين يديه خواصه وخدامه فسلمنا عليه بسلامنا المعتاد من نزول السلام على من اتبع الهدى ورحب وسلم على عادته ووجدناه يدعى بروانة عنبها لمضيفنا المنصور بالله فعلها ودعها البنا بعد ان استخبرنا عن احوالنا وعن القلق الذي بلغه عنا بالخبر قبله من العذر ما بهم منا من كوننا لم يمكنا البطء عن سيدنا نصره الله فقال حيث اظهرتم العذر لا نلزمكم مقاما بعد ان احببتم الانصراف وتوجوا عنا السلام الاوفى بالمقام الشريف ونحن نرجو امنه الخير في الاسارى الذين عندنا وكل ما يعرض لمقامه العلي عندنا نفوض جبينا وكرامة اجلا لا لمنصبه وسأل الترجمان هل لهم غرض نسرع لقضائه فاظهرنا من الاعراض عن ذلك ما هو لائق بالمنصب الاسلامي والحمد لله وانصرفنا من عنده بعد ان شيعنا ودفع لنا الكتاب الذي كتبه لمقام سيدنا المنصور بالله وبعد ذلك الحفنا بعض خواصه يستتبعنا هل لنا غرض في المقام بذلك المنتزه اياما بقصد الاصطياد والتنزه فاجبنا بتطاير قلوبنا الى وطننا وان لا تعقنا الاقامة بعد ذلك اليوم ساعة وعان

هو يريد الرجوع الى مدريد من الغد فبعث الينا عشية ذلك اليوم
ومن صبيحة الغد القيمين على ذلك الموضع وعلى الفنص وخرجنا
معهم الى الفنص فاذا فيه من الابل والغنم شيء كثير فسا عفنا
في ذلك لغرضه ومن الغد رجعنا الى مدينة مدريد بقصد التاهب
للسفر والاستعداد وكان خروجنا من مدريد في اليوم الاول من رمضان
المبارك من عامنا هذا وقد اصر الطاغية من احتجب معنا من خدامه
بمرورنا على مدينة طليطلة لنشاهد مسجدها الجامع الذي هو من
عجائب الدنيا في بنائه وذكره وبعد صيته فبتنا يوم خروجنا من مدريد
بقرية يقال لها وشقة وكان من حواضر العدوة التي لها ذكر وقد ار على
ونباهة وهي اليوم قرية صغيرة وبها من اثر البناء القديم الاسلامي
بعض اثر مثل الباب التي كانت تدخل اليها حين كانت في عهد عمارها
من اهل الاسلام مدينة واما اليوم فاقرب اليها من الحضر
وبينها وبين مدينة طليطلة احد وعشرون ميلا

غدا

وطليطلة هي مدينة قبيرة فاعدة من قواعد من العدوة ودار ملك
قديم وهي على ربوة من الارض في جانبة مطلة على الوادي المسمى
طاخوا وهو الوادي المار بأرانخويس المتنزه المتقدم الذكر وقد
احاط بالحاية التي عليها المدينة من ثلاثة ارباعها والربع الواقي
للبر هو الآتي من طريق مدريد واسوار هذه المدينة وحيطانها
وازقتها

وازقتها بانية على حالها من عهد عمارتها من المسلمين واثرها اثر
الحضارة الا ان اكثر ازقتها ضيقة جدا وسورها بانية على حالها من البناء
الاسلامي وتفصيله والنقش في السقف والحيطان بالكتابة العربية

مسجد طليطلة

وَمَسْجِدُهَا الجامع من عجائب الدنيا اذ هو مسجد قبير مبني على
من الحجارة الصلبة الغريبة الشبه بالرخام وسقفه مقبو
من الحجارة وهو في غاية ارتفاع السمك وعلو في الجو وسواريه في غاية
الضخامة والصناعة العجيبة والنقوش وقد احدث النصارى في هذا
المسجد من جوانبه زيادة في الوسط بشباك من نحاس اصفر وبيعا
من تصاويرهم وصلبانهم وآلة الموسيقى المسماة عندهم اورغان
التي يضربون بها وقت صلواتهم مع الكتب التي يقرؤونها في الصلوات شيء
كثير وقد جعلوا امام هذا الشباك صورة المصلوب وهو من ذهب
يقابلون بها في صلواتهم وامام المصلوب مصابيح كثيرة من ذهب وفضة
توقد ليلا ونهارا مع شموع كثيرة قبيرة

وابواب هذا المسجد في غاية الاتقان والصناعة وقد زادوا بوفضا من
الصور ما هو من عوائدهم التي لا يقنعهم تركها ومن الزيادة الحدثة
في جوانب هذا المسجد بيوت كثيرة قبيرة مشتملة على خزائن من
الاموال كثيرة فيها من الذخائر والاحجار المثمنة مثل الياقوت الاحمر
والابيض والاصفر والزمرد والتيجان المرصعة بالدر الباهر والاحجار

البغيسة التي لها بال ولا تقوم بمال ومع هذه الذخاير خاج كبير من
ذهب ومعه سوارها من ذهب زعموا ان ذلك من عهد المسلمين
رحمهم الله وعن يمين هذه الخزانة بيت خزانة بيت كتاب كبير مكتوب
بماء الذهب زعموا انه كتاب التوراة وهو عندهم في غاية الحفظ
والصون والاعتناء به لا يخرج عن موضعه الخ به وذكروا ان ملك الرابع
(كواطر) الخ هو الذي هذا اللغاغية احب اخراجه من هنالك
وان يكون عنده بعد ان اعلمهم فيه مدينة كبيرة بخراجها وجميع
منافعها فلم يعلموه فيه كلاما لفهمهم به (اي بخلهم) وعن يمين
هذه الخزانة ايضا خزانة اخرى بها صندوق كبير مرصع مشحون بالجواهر
الباخرة من الذهب المرصعة مثل الهديات والقلايد والسلاسل
والخواتم الثمينة وعن يمينه صومعة من فضة